الباب الثاني عشر

انتشار الإسلام في أرخبيل الملايو

يمدنا تاريخ أرخبيل الملايو في خلال الأعوام الستمائة الأخيرة بفصل من أهم الفصول في قصة انتشار الإسلام، بفضل ما بذله الدعاة من جهود؛ ففي غضون هذه الفترة كلها، نجد شواهد تدلنا على نشاط متصل قام به الدعاة المسلمون في جزر الهند الشرقية، أو في بعضها على الأقل، وفي بدء الدعوة، لم يكن بد من أن ينفذ الدعاة أعمالهم، في كل لون من ألوان هذه الدعوة، دون مساعدة أو معاضدة من جانب حكام البلاد. وإنما نفذت بقوة الإقناع وحدها، وصادفهم في سبيل ذلك معارضة شديدة في كثير من الأحيان، ولا سيما من جانب الأسباب ولكن الدعاة والوا جهودهم بنشاط لا يعرف الملل، برغم كل الصعاب، وبألوان من النجاح متباينة، وأنجزوا أعمالهم (وخاصة في الوقت الحاضر) أينما كانت هذه الأعمال جزئية أو ناقصة.

ومن المحال أن نعرف على وجه التحقيق التاريخ الدقيق لأول دخول الإسلام في أرخبيل الملايو. وربما حمله إلى هناك تجار العرب في القرون الأولى للهجرة، وذلك قبل أن تصل إلينا أية معلومات تاريخية عن حدوث أمثال المؤثرات في تلك البلاد بزمن طويل. ومما جعل هذا الغرض أكثر احتمالًا، ما نعرفه من أن العرب زاولوا مع بلاد الشرق تجارة واسعة النطاق منذ عصور مبكرة جدًا. ففي القرن الثاني للهجرة، كانت تجارتهم مع سيلان كلها في أيديهم. وفي مستهل القرن السابع الميلادي، لقيت تجارتهم مع الصين، عن طريق سيلان، رواجًا عظيمًا، حتى لقد وجدنا تجار العرب، في أواسط القرن الثامن يقيمون في كانتون في جموع غفيرة.

وفي الفترة التي بين القرنين العاشر والخامس عشر، حتى قدوم البرتغاليين، كان

العرب سادة التجارة مع الشرق دون منازع[١].لذلك نستطيع أن نزعم في شيء من التأكيد المقبول، أنهم لا بد أن يكونوا قد أسسوا مستمراتهم التجارية في بعض جزائر أرخبيل الملايو، كما فعلوا ذلك في الأماكن الأخرى في عصر مبكر جدًا. ومع أننا لا نجد ذكرًا لهذه الجزائر في مؤلفات جغرافي العرب قبل القرن التاسع[٢]، نجد في حوادث سنة ٦٨٤م في الأخبار الصينية المدونة حسب السنين، خبرًا عن زعيم عربي، يظن من التعليقات المتأخرة أنه كان زعيم مستعمرة عربية على ساحل سومطرة الغربي[٣].

على أن الدعاة لا بد أن يكونوا قد وفدوا كذلك على أرخبيل الملايو من جنوب الهند، نستدل على ذلك من بعض خصائص معينة وجدت في العقيدة الإسلامية التي اعتقدها سكان هذه الجزائر. ويتبع السواد الأعظم من مسلمي الأرخبيل المذهب الشافعي، الذي يسيطر في الوقت الحاضر على سواحل كورومانديل وملبيار، كما كانت الحال كذلك حول منتصف القرن الرابع عشر، عندما زار ابن بطوطة هذه البقاع[٤].

فإذا قدرنا أن المسلمين في البلاد المجاورة ينتمون إلى المذهب الحنفي، استطعنا أن نفسر ذيوع تعاليم المذهب الشافعي بشيء واحد، هو الزعم بأن هذه التعاليم قد جُلبت إلى هناك من ساحل ملبيار الذي كان التجار الآتون من جاوة يترددون على موانيه، كما كان يتردد عليها التجار القادمون من الصين واليمن وفارس[٥]. كذلك لا بد أن يكون التشيع قد جاء إلى هناك من الهند أيضًا، أو من فارس، ولا تزال آثاره قائمة في جاوة وسومطرة.

ونعلم مما ذكره ابن بطوطه أن سلطان سَمُدرة[*] المسلم قد دخل في صلات ودية مع

---

(١) Niemann, p. 337.

(٢) Reinaud: Géographie d'Aboulféda, tome i. p. cccxxxix.

(٣) Groeneveldt, pp. 14, 15.

(٤) ابن بطوطة جـ٤ ص٦٦، ٨٠.

(٥) Veth (3), vol. p. 231. ابن بطوطة جـ٤ ص٨٩.

(*) اسم مدينة سومطرة القديم، ويقال إنه سنسكريتي الأصل معناه البحر.

بلاط دهلي؛ وكان من بين علماء الفقه الذي خصهم هذا السلطان المتدين بالرعاية قاض من شيراز وآخر من أصبهان[١]. ولكن قبل هذا الوقت بزمن طويل، كان التجار المقيمون في الدكن، الذين قامت الحركة التجارية على أيديهم بين الدول الإسلامية في الهند وأرخبيل الملايو، قد استقروا في جماعات كبيرة في الموانئ التجارية الواقعة في هذه الجزائر، حيث ألقوا بذور الدين الجديد[٢].

ويرجع الفضل في وجود الأهالي المسلمين، الذين وجدنا ذكرهم في الأخبار التاريخية الأولى التي تشير إلى الإسلام في هذه الجهات، إلى تلك الجهود التي بذلها تجار العرب والهنود في نشر تعاليم الدعوة. فإنهم بعد أن استقروا في مراكز التجارة، تصاهروا إلى سكان البلاد، ومن ثم كوَّن أولائك النسوة الوثنيات وعبيد أسراتهن نواة الجماعة الإسلامية التي لم يأل أفرادها جهدًا في زيادة عددهم. ويمدنا الوصف التالي للوسائل التي اتخذها الدعاة من هؤلاء التجار في جزائر الفيلبين، بصورة لما كان قد صنعه من غير شك، تجار المسلمين في الأجيال الكثيرة السابقة: «كان أقوم السبل لإدخال دين المسلمين إلى هذه البلاد، أن اتخذوا لغة القوم وكثيرًا من عادات الأهالي، وتزوجوا من نسائهم، واشتروا عبيدًا ليرفعوا من قيمتهم الشخصية، ونجحوا آخر الأمر في أن يدخلوا أنفسهم في زمرة الزعماء الذين يتبوءوا أرفع مكانة في الدولة. وعملوا يدًا واحدة على نحو أكثر حذقًا وتناسقًا مما كان يصنعه الأهالي، فزادوا من قوتهم شيئًا فشيئًا. ولما كانوا يمتلكون عددًا من العبيد، ألفوا فيما بينهم نوعًا من الحلف، وأسسوا ضربًا من الحكومات الملكية جعلوها وراثية في أسرة واحدة. ومع أن مثل هذا الحلف قد أمدهم بقوة عظيمة، أحسوا الحاجة إلى التراضي على شروط ود مع الطبقة الأرستقراطية القديمة، كما أحسوا الحاجة إلى أخذ ضمان لحريتهم من هذه الطبقات التي لم يكن في وسعهم أن يستغنوا عن تأييدها»[٣].

ولا بد أن يكون المسلمون الذين استوطنوا أرخبيل الملايو، على اختلافهم، قد

---

[١] ابن بطوطة جـ٤ ص٢٣٠، ٢٣٤.

[٢] Snouck Hurgronje (1), pp. 8-9.

[٣] Padre Gainza, quoted by C. Semper, p. 67.

وضعوا بطريقة تشبه تلك التي تحدثنا عنها، أساسًا سياسيًا واجتماعيًا ثابتًا لجهودهم في سبيل نشر تعاليم الدعوة. إنهم لم يفدوا على هذه البلاد غزاة، كما فعل الإسبان في القرن السادس عشر، ولم يستخدموا السيف أداة لتحويل الناس إلى الإسلام، بل لم يدَّعوا لأنفسهم حقوق جنس أسمى يتمتع بالغلبة والسيادة، لكي يحطوا بذلك شأن السكان الأصليين ويسلبوا حقوقهم، بل قدموا في زي التجار، واستخدموا كل ما لديهم من ذكاء أسمى، ومدنية أزهر في سبيل دينهم، أكثر من أن يكونوا قد استخدموا ذلك وسيلة لتوسيع نفوذهم الشخص أو لتنمية ثرواتهم[١].

أما وقد قررنا بصفة عامة الوسائل الثانوية التي اتخذوها في نشر الدعوة، فلنتتبع بالتفصيل جهودهم في نشر تعاليم هذه الدعوة في الجزائر المختلفة.

تصور لنا الروايات أن الإسلام دخل إلى سومطرة من بلاد العرب، على أنه ليس هناك أساس تاريخي صحيح لمثل هذا الاعتقاد، ويظهر أن الشواهد كلها تشير إلى أن الهند هي المنبع الذي استقى منه أهالي سومطرة معرفتهم بالعقيدة الجديدة. كانت العلاقات التجارية الفعالة، قد قامت منذ قرون بين الهند وأرخبيل الملايو، ولا يبعد أن يكون أول دعاة سومطرة تجارًا من الهنود(٢). على أنه ليس لدينا أخبار تاريخية عن أعمالهم، وتنسب أخبار الملايو شرف أول دعوة في مدينة أنجيه **Atjeh**، شمال غربي سومطرة، إلى عربي يدعى عبد الله عارف، قيل إنه زار الجزيرة حول منتصف القرن الثاني عشر؛ وقيل إن أحد تلاميذه، برهان الدين، حمل معرفة العقيدة إلى الساحل الغربي حتى پريامان **Priaman**[٣].

ولما كان هذا الخبر غير موثوق بصحته، فإنه مع ذلك قد يوضح وجود بعض نشاط في نشر تعاليم الدعوة حول هذه الفترة. ذلك أن أخبار مؤرخي الملايو الخاصة بأنجيه تجعل سنة ١٢٠٥ تاريخًا لاعتلاء چيهان شاه العرش، وهو الذي تزعم الروايات أنه مؤسس

---

(١) Crawfurd (2), vol. ii. P. 265.

(٢) Snouck Hurgronje: L'Arabie et les Indes Néerlandaises. (Revue de l''Histoire des Religions, vol. Ivii, p. 69 sqq).

(٣) De Hollander, Vol. i. p. 581. Veth (1), p. 60.

الأسرة الإسلامية. وقد قيل إنه كان أجنبيًا، من الغرب[1]، وإنه قدم إلى هذه السواحل ليدعو إلى عقيدة النبي ﷺ. وقد أدخل كثيرين من هذا الدين، وتزوج امرأة من أهالي هذه البلاد، فرحبوا به ملكًا عليهم وتلقب بلقب سرِي بَدُوكا سلطان، وهو لفظ خليط من السنسكريتية والعربية.

والراجح أن العقيدة الجديدة ظلت وقتًا ما مقصورة على الموانئ التي اتصل بها تجار المسلمين، وأن تقدم هذه العقيدة في داخل البلاد كان أكثر بطئًا، فهنا لم يكن بد من أن تصطدم العقيدة بالمؤثرات الهندوكية القوية التي اتخذت لها مركزًا في مملكة منانجكباو.

ويتحدث ماركو بولو، الذي قضى خمسة أشهر على ساحل سومطرة الشمالي في ١٢٩٢م، عن جميع السكان باعتبارهم عبدة أوثان، اللهم إلا في مملكة برلاك الصغيرة على الزاوية الشمالية الشرقية من الجزيرة، حيث كان سكان المدن وحدهم مسلمين كذلك، لأن «تجار العرب، كما ينبغي أن تعلم، قد بلغ من كثرة ترددهم على هذه المملكة، أنهم أدخلوا الأهالي في شريعة مُحَمَّد»، أما سكان المرتفعات فكلهم وثنيون أو متوحشون يأكلون لحوم البشر[2]. أضف إلى ذلك أن أحد أخبار الملايو التاريخية يقول إن أول من ضرب المثل في اعتقاد الإسلام ثم حذا رعاياه حذوه، هو السلطان على مغايت شاه، وكان قد حكم أتجيه من سنة ١٥٠٧ إلى ١٥٢٢[3]. ولكن لا يبعد أن يكون شرف أول حاكم مسلم للدولة قد نُسب إلى هذا السلطان لاعتباره مجدًا يضاف إلى الحاكم الذي أسس عظمة أتجيه، وأخذ في بسط نفوذه على البلاد المجاورة.

كما لا يبعد أن يكون أصوب أنه أحدث أثرًا في إنعاش حياة رعاياه الدينية، أو أنه بث روحًا جديدة في هذه الحياة، لا أن يكون قد أمدهم بأول معرفة بعقيدة النبي. فقد

---

[1] قد تنطبق هذه الإشارة الغامضة إما على بلاد العرب وفارس وإما على الهند. ولكن إذا كانت شخصية جيهان شاه هذه حقيقية، فلا يبعد أن يكون قد قدم من كورومانديل أو ساحل الملبيار. (Chronique du Royaume d'Atcheh, traduite du Malay par Ed. Dulaurier, p. 7).

[2] Marco Polo, vol. ii. P. 284.

[3] Veth (1), p. 61.

رسخت قدم الإسلام في سومطرة قبل ذلك الوقت بزمن طويل. وتخبرنا الروايات التي تتحدث عن مدينة سمدرة، أن شريف مكة أرسل بعثة لتحويل شعب سومطرة إلى الإسلام. وكان قائد الجماعة رجلًا يدعى الشيخ إسماعيل. وكان أول ما وصلوا إليه من الأمكنة في هذه الجزيرة، بعد أن تركوا مليبار، بلدة پاسوري **Pasuri** (وربما كانت على مسافة قليلة من جنوب الساحل الغربي)، وبفضل دعوتهم اقتنع شعب هذه البلدة باعتقاد الإسلام، ثم تقدموا شمالًا حتى لمبري **Lambri**، ثم أخذوا يساحلون الجزيرة حتى وصلوا إلى الجانب الآخر منها، وأبحروا من هناك حتى وصلوا إلى آرو **Aru** على الساحل الشرقي من جهة الجنوب، وهي تقابل ملقًا تقريبًا. وفي كلتا هاتين البقعتين، تكللت جهودهم بنجاح كذلك. وفي آرو، تحروا الطريق إلى سمدرة، وهي مدينة على الساحل الشمالي من الجزيرة، ويظهر أنها خاصة كانت هدفًا لدعوتهم، فوجدوا أنهم قد تجاوزوها. ومن أجل ذلك قفلوا راجعين إلى برلاك **Parlak**، حيث كان ماركو پولو قد وجد جماعة من المسلمين قبل ذلك بأعوام قليلة؛ وبعد أن ظفروا بمسلمين جدد في هذه البقعة كذلك، استأنفوا رحلتهم إلى سُمدرة. وكانت هذه المدينة، والمملكة التي تسمت باسمها، قد تأسست أخيرًا على يد شخص يدعى مراسيلو **Mara Silu**. وقد أقنعه الشيخ إسماعيل باعتقاد الإسلام فاتخذ لنفسه اسم الملك الصالح، وتزوج من ابنة ملك پرلاك فأنجب منها ولدين، ولكي يترك لكل منهما ولاية بعد وفاته، أسس هذه المدينة الإسلامية ومملكة پاسي **Pasei**، وهي كذلك على الساحل الشمالي[1].

ولا يبعد أن يكون الملك الظاهر الذي وجده ابن بطوطة حاكمًا في سمدرة عندما زار هذه الجزيرة في سنة ١٣٤٥، أكبر هذين الولدين. وقد أظهر هذا الملك أعظم ما تتجلى به المملكة الإسلامية من أبهة، وامتد بلاده مسيرة أيام كثيرة على طول الساحل. كان مسلمًا من أهل السنة، غيورًا على دينه، مولعًا بعقد المناظرات مع الفقهاء وعلماء الدين. وكان بلاطه مقصد الشعراء ورجال العلم. ويذكر لنا ابن بطوطة اسمي قاضيين، كانا قد أتيا إليه من فارس، كما يذكر اسم أمير كان قد ورد رسولًا على السلطان في دهلي،

---

[1] **Yule's Marco Polo, vol. ii. Pp. 294, 303.**

وهذا يدلنا على أن سومطرة كانت من قبل على اتصال بكثير من أرجاء العالم الإسلامي. كذلك كان الملك الظاهر قائدًا عظيمًا، وقد أعلن الحرب على الوثنيين الذين يقيمون في البلاد المجاورة حتى أذعنوا لحكمه، وأدوا له الجزية[١].

وكان الإسلام من غير شك قد أحرز في ذلك العهد تقدمًا عظيمًا في سومطرة، وبعد أن توطدت دعائمه على طول الساحل، أخذ يشق طريقه إلى المناطق الداخلية. وكانت دعوة الشيخ إسماعيل وجماعته قد آتت ثمارًا وافرة، فقد تحدث رحاله صيني، زار هذه الجزيرة في سنة ١٤١٣، عن بلدة لا مبرى، فقال إن عدد الأسرات التي كانت تقيم فيها ألف أسرة، كلهم مسلمون، و«على جانب عظيم من كرم الأخلاق»، وكان ملك آرو وشعب مملكته يعتقدون جميعًا هذا الدين نفسه[٢]. وقد حدث، إما في نهاية هذا القرن نفسه أو في القرن الخامس عشر، إن وجد دين النبي أشياعًا من مملكة منانجكباو العظيمة، التي امتدت أراضها يومًا ما من الساحل إلى الساحل، وعلى جزء عظيم من الجزيرة يقع شمالي خط الاستواء وجنوبيه[٣].

وعلى الرغم من أن قوتها كانت لذلك العهد قد انحلت إلى حد بعيد، ظلت تضع عقبات كبيرة، باعتبارها معقلًا قديمًا من معاقل الهندوكية. في سبيل تقدم الدين الجديد. ومع هذه الحقيقة، كان تأصل الإسلام في نفوس رعايا هذه المملكة آخر الأمر أقوى منه في نفوس السواد الأعظم من سكان المنطقة الداخلية من هذه الجزيرة[٤]. ومن الواضح البين، أن هؤلاء، وهم أوسط شعوب الجزيرة مركزًا، لم يكن بد من أن يكونوا بأسرهم أسرع دخولًا في الإسلام من سكان كثير من سائر المقاطعات التي كانت أشد اتصالًا بالمؤثرات الأجنبية. ولا يزال السواد الأعظم من سكان بلاد البتك **Batak**، إلى اليوم،

---

[١] ابن بطوطة جـ٤ ص٢٣٠–٢٣٦.

[٢] **Groeneveldt, p. 94.**

[٣] وفي أوج قوتها، امتدت من ٢° شمالًا إلى ٢° جنوبًا على الساحل الغربي، ومن ١° شمالي إلى ٢° على الساحل الشرقي، ولكنها في القرن السادس عشر، فقدت سيطرتها على الساحل الشرقي. **(De Hollander, vol. i. p.3).**

[٤] **Marsden, p. 343.**

على الوثنية، بيد أن الإسلام قد ظفر ببعض آثار فيهم، مثال ذلك فريق يعيشون على حدود أتجيه، دخلوا في الإسلام على يد جيرانهم المسلمين[١]، وفريق آخر يسكنون في جبال إقليم راو Rau على خط الاستواء، تحولوا مثلهم إلى الإسلام[٢].

كذلك عرفت حالات من إسلام البتك على الساحل الشرقي، وكانوا على اتصال وثيق بسكان الملايو[٣].ولم تُجْد الجهود النشيطة التي بذلتها أسرة بدري Padris المتعصبة لفرض الإسلام على البتك بحد السيف، فخربوا بلادهم وقتلوا كثيرًا منهم. ولكن هذه الوسائل العنيفة لم تجذب أحدًا إلى الإسلام. على أنه، عندما أخمدت الحكومة الهولندية حركة البدري وضمت إلى أملاكها الجزء الجنوبي من بلاد البتك، أخذ الإسلام ينتشر بالوسائل السلمية، وخاصة عن طريق الجهود الحماسية التي بذلها الموظفون المرؤوسون من الأهالي الذين جاء بهم النظام الجديد والذين كانوا جميعًا من سكان الملايو المسلمين[٤]، وكذلك عن طريق نفوذ التجار الذين طوفوا في البلاد، والذين حذا حذوهم في نشر الدعوة جماعة (الحاجي) وغيرهم من علماء الدين المعروفين.

ومن الحقائق الواضحة، أن البتك الذين كانوا قد أبدوا معارضة عنيدة في دخول الإسلام بينهم قرونًا عديدة، مع أنهم كانوا يحاطون بمجموعتين من السكان المسلمين المتعصبين، وهما الأتشينيون في الشمال وأهل الملايو في الجنوب، قد استجابوا في السنين الأخيرة للجهود السلمية التي بذلت لإدخالهم في الإسلام، وأظهروا حماسة في هذه السبيل. ويظهر أن من الممكن إيجاد تفسير لذلك، فيما اعترى صفاتهم القومية الحاجزة المنيعة، من ضعف ووهن، بسبب الاحتلال الهولندي، والغزو الذي عرض بلادهم

---

(١) J. H. Moor. (Appendix, p. 1).

(٢) Marsden, p. 355.

(٣) Godsdienstige verschijnselen en teostanden in Oost- Indië. (Uit de Koloniale Verslagen van 1886 en 1887). Med. Ned. Zendelinggen, vol. xxxii. Pp. 175-6. (1888).
وفي سنة ١٩٠٩، كان المجموع الكلي للبتك ٥٠٠.٠٠٠ شخص، منهم ٣٠٠.٠٠٠ كانوا لا يزالون على الوثنية، على حين كان ١٢٥ ألف مسلمين و٨٠ ألف مسيحيين (R. du M.M., vol. viii. P. 183).

(٤) J. Warneck: Die Religion der Batak, p. 122 (Leipzig 1909).

للمؤثرات الأجنبية التي دلت على بداية عصر جديد في تطورهم الثقافي، كما نجد تفسير ذلك أيضًا في تلك الخطوات السديدة التي تقدم بها أئمة هذا الدين الجديد، الذين عرفوا كيف يلائمون بين تعاليمهم وعقائد البتك الراهنة، وتقاليدهم المتأصلة في نفوسهم[١]. ويظهر أن تأسيس الإرساليات المسيحية بين البتك في سنة ١٨٩٧ قد زود الدعوة الإسلامية في هذه البلاد بباعث لا يستهان به، بل يظهر أن هذه الإرساليات قد مهدت السبيل لنجاح تلك الدعوة؛ فقد قيل أن قريتين من قرى البتك، وكان جميع أهليهما قد تنصروا، انتقلتا جميعًا واحدًا إلى الإسلام، بعد تنصرهما بزمن قصير[٢].

ولا يزال في سومطرة الوسطى، عدد كبير من الأهالي الوثنيين، على الرغم من أن السواد الأعظم من السكان مسلمون. ولكن هؤلاء على جانب عظيم من الجهل بديانتهم، اللهم إلا إذا استثنينا عددًا قليلًا من جماعة الحاجي والمعلمين الدينيين: بل إننا نجد بين شعب كورنتجي، وهم في معظمهم يشايعون الإسلام ويتحمسون له، بعض الطوائف من الأهالي لا يزالون يعبدون آلهة أجدادهم الوثنيين[٣]. على أن الجهود تبذل في سبيل نهضة دينية، كما أن دعاة المسلمين يقومون بغزوات جديدة بين الوثنيين ولا سيما على طول الساحل الغربي[٤] وفي مقاطعة سيبيروك Sipirok أدخل معلم ديني. وكان قد لزم المسجد في المدينة التي كانت تحمل اسم هذه المقاطعة مدة ربع قرن، جميع أهالي هذه المقاطعة في الإسلام، اللهم إلا المسيحيين الذين كانوا يعيشون هناك، وكانوا في الغالب من سلالة الأهالي الذين كانوا عبيدًا من قبل[٥].

وقد أفلحت حركة حديثة لنشر الدعوة، قامت في العقد الأول من القرن العشرين،

---

(١) G. R. Simon: Die Propaganda des Halbmondes. Ein Beitrag zur Skizzierung des Islam unter den Batakken, pp. 425, 429-30. (Allgemeine Missions- Zeitschrift, vol. xxvii. 1900).

(٢) R. du M. M., vol. viii. (1909), p. 183.

(٣) A. L. van Hassalt, pp. 55, 68.

(٤) Med. Ned. Zendelinggen, id. P. 173 (Koloniaal Verslag van 1911, p. 26; 1912, p. 17). III.

(٥) Unit het Koloniaal Verslag van 1889. (Med. Ned. Zendelinggen, vol. xxxiv. P. 168) (1890).

في اجتذاب كثير من مسيحي هذه المقاطعة إلى الإسلام، بل في اجتذاب فريق ممن يعيش في وسط المحيط الذي تجلى فيه نفوذ الإرسالية المسيحية[١].

وتصور الروايات أن الإسلام دخل إلى پالمبنج Palembang حول سنة ١٤٤٠ على يد رادن رحمت، وسنذكر فيما بعد نبذة عن نشاطه في الدعوة. ولكن يظهر أن المؤثرات الهندية كانت متأصلة ثابتة في هذه المنطقة، وأن تقدم الدين الجديد كان بطيئًا. وقد قيل إن مسلمي پالمبنج كانوا حتى القرن التاسع عشر، يعرفون القليل عن دينهم، إلا ما كان من طقوسه الشكلية، اللهم إلا سكان الحاضرة الذين كانوا يتصلون بالعرب كل يوم[٢].

ولكن قد يظهر أن في العقد الأول من القرن العشرين، كان هنالك نهضة للحياة الدينية، ودعاية آخذة في النمو، إذ أن تقارير الحكومة الهولندية الخاصة بالمستعمرات قد لفتت الأنظار إلى اطراد انتشار الإسلام بين الوثنيين من أهالي مقاطعات پالمبنج على اختلافها[٣].

ومن جاوه، حُمل الإسلام لأول مرة إلى مقاطعات لمپونج Lampong التي تكوّن أقصى حدود سومطرة الجنوبية، وذلك على يد سيد هذه المقاطعات، ويدعى مِنَك كَمَله بومي. وحول نهاية القرن الخامس عشر، عبر مضيق سُندا Sunda إلى مملكة بنتام على ساحل جاوة الغربي، تلك المملكة التي كانت قد انتحلت تعاليم الدعاة المسلمين قبل أن يزورها هذا الزعيم بسنوات قليلة. وهنا أسلم هذا الرجل أيضًا، وبعد أن أدى فريضة الحج إلى مكة، نشر تعاليم عقيدته الجديدة التي اعتقدها بين مواطنيه[٤]. وقد أحرز هذا الدين تقدمًا لا يستهان به بين أهالي لمپونج، ولهم مساجد في معظم قراهم، ولكن الخرافات القديمة لا تزال قائمة في أجزاء المنطقة الداخلية[٥].

---

(١) Koloniaal Verslag van 1910, p. 30.

(٢) De Hollander, vol. i. p. 703.

(٣) Koloniaal Verslag van 1904, p. 80; 1905, p. 46; 1909, p. 47; 1910, p. 33; 1911, p. 29; 1912, p. 21.

(٤) Canne, p. 510.

(٥) Marsden, p. 301.

وفي مستهل القرن التاسع عشر، قامت في سومطرة نهضة دينية، ولم تكن عادمة التأثير في ترويج دعاية للإسلام أبعد مدى وأعظم أثرًا. وفي سنة ١٨٠٣ رجع ثلاثة من جماعة الحاجي من مكة إلى وطنهم سومطرة، وكانوا في أثناء وجودهم في المدينة المقدسة، قد تأثروا تأثرًا عميقًا بالحركة الوهابية التي قامت لإصلاح الإسلام، فأصبحوا الآن يتوقون إلى أن يدخلوا مبادئ هذا الإصلاح بين مواطنيهم، وإلى أن يبثوا فيهم حياة دينية أكثر صفاء وأشد غيرة. ومن ثم أخذوا في الدعوة إلى التشدد في التوحيد الذي تقوم به الطائفة الوهابية، وحرموا التوسل إلى الأولياء وشرب الخمر والميسر وسائر الأعمال التي تتعارض مع القرآن. وجعلوا عددًا من بين إخوانهم في الدين والأهالي الوثنيين على سواء يدخل في مذهبهم. وأخيرًا أعلنوا الجهاد على البتك، ولكن الحركة فقدت صبغتها الأصيلة وانحطت فأصبحت حربًا وحشية دامية ترمي إلى الغزو، وذلك بوقوع هذه الحركة في أيدي قوم لا وازع لهم يطمحون إلى الشهرة. وفي سنة ١٨٢١ وقع هؤلاء الذين يطلق عليهم جماعة البدري Padris في نزاع مع الحكومة الهولندية، ولم تأت سنة ١٨٣٨ حتى سقط آخر معاقلهم وكسرت شوكتهم[١].

ويرجع جميع أهالي الملايو الذين يقيمون في شبه جزيرة الملايو أصلهم إلى هجرات أتت من سومطرة، ولا سيما منانجكباو تلك المملكة المشهورة التي ذكرناها من قبل، والتي يقال إنها كانت في يوم ما أقوى الممالك في الجزيرة. ولا يزال بعض رؤساء الولايات الداخلية، في الجزء الجنوبي من شبه جزيرة الملايو، يتقلدون مناصبهم من هذا المكان. أما معرفة الفترة التي تمكنت فيها هذه الجاليات من قلب سومطرة في داخل شبه الجزيرة، فهذا أمر يدخل في باب الحدس والتخمين؛ ولكن يظهر أن ينغاپور وأقصى الحدود الجنوبية من شبه الجزيرة، قد تلقت هجرة من هذه الهجرات في أواسط القرن الثاني عشر، وهي التي أسس أحفادها ملقا بعد ذلك بقرن تقريبًا[٢].

---

(١) Niemann, pp. 356-9.

(٢) J. H. Moor, p. 255.

وسرعان ما أصبحت هذه المدينة مدينة كبيرة زاهرة، لما تميزت به من موقع مناسب في طريق التجارة الآتية من الشرق، وهناك قليل من الشك في أن تجار المسلمين الذين استوطنوا هنا، هم الذين أدخلوا الإسلام إلى هذه البلاد[١]. وتعزو أخبار مؤرخي الملايو عن ملقا تحول هذه المملكة إلى الإسلام إلى عهد أحد ملوكها وهو سلطان مُحَمَّد شاه، وكان قد اعتلى العرش سنة ١٢٧٦م. وقد قيل إنه حكم هذه البلاد سنوات قليلة، قبل أن ترسو سفينة بقيادة سيدي عبد العزيز إلى شواطئ ملقا آتية من جدة، وأن هؤلاء القادمين قد أقنعوا الملك بتغيير عقيدته وترك اسمه الوطني، وقد اتخذ لنفسه اسمًا يحمل اسم النبي[٢].

ولكن طابع هذه الوثيقة التاريخية العام يجعل الثقة بها والاطمئنان إلى صحتها موضع شك إلى حد بعيد[٣]، على الرغم من أنه من المحتمل أن يكون تاريخ حادثة مهمة كتلك الحادثة، قد يكون موضع ملاحظة دقيقة (كما حدث ذلك في جهات كثيرة من أرخبيل الملايو) من شعب يعتز بذكر الحادثة، ويعدها فاتحة عهد جديد في تاريخهم. ويذكر مؤرخ برتغالي تاريخًا متأخرًا عن ذلك التاريخ ويقول إنه حدث في سنة ١٣٨٤، كما يقول إنه كان قاضيًا، قدم من بلاد العرب في هذه السنة، وبعد أن حول الملك إلى الإسلام، سماه محمدًا أسوة بالنبي وأضاف كلمة شاه إلى اسمه[٤].

وفي أخبار قويدة، وهي إحدى ولايات شبه جزيرة الملايو، في أقصى الشمال، رواية عجيبة وصلت إلينا عن دخول الإسلام إلى هذه المملكة، حول سنة ١٥٠١م[٥]،

---

[١] منذ أقبل هؤلاء الهنود، ونحن نعتبرهم عربًا فرسًا، والجوجراتيون (الذين استقروا في البلاد بسبب التجارة) قد قام نفر منهم بتحويلنا إلى دين مُحَمَّد. ولما كان نفر من أهل البلاد هنا قد أقبلوا على هذا الدين، لم يلبث هذا «الوباء الجهنمي» أن وصل إلى ملقا. (De Barros, Dec. ii. Liv vi cap. i. p. 15).

[٢] Aristide Marre: Malàka. Histoire des rois malays des Malàka. Traduit et extrait du Livre des Annales malayses, intitule en arabe Salàlet al Selàtyn, p. 8. (Oaris, 1874).

[٣] Crawfurd (1), pp. 241-2.

[٤] De Barros, Dec. iv. Liv. Ii. Cap. 1.

[٥] يتحدث باربوسه Barbosa فيما كتبه سنة ١٥١٦، عن تجار مسلمين كثيرين، كانوا يختلفون إلى ميناء قويدة. (Ramusio, tom. i. p. 317).

وإليك هذه الرواية (وقد حذفنا منها بعض حوادث من خوارق العادات): قدم عالم عربي يدعى الشيخ عبد الله، إلى قويدة، وزار الراجه، وسأل عن ديانة البلاد، فأجابه الراجه «ديني ودين رعيتي كلها، هو الذي وصل إلينا من الشعب القديم. إننا جميعًا نعبد الأصنام». فقال الشيخ: «إذن أمنا سمعتم جلالتكم قط شيئًا عن الإسلام، والقرآن الذي أنزله الله على مُحَمَّد، ونسخ به كل الديانات الأخرى، وتركها في حوزة الشيطان؟» فقال الراجه: «إذن أرجو منك، إن كان حقًا ما تقول، أن تعلمنا هذا الدين الجديد، وتهدينا بنوره». وتهلل الشيخ عبد الله تهلل الحماسة المقدسة لسؤال الراجه إياه هذا السؤال، واحتضن الشيخ الراجه، ثم فقهه في الدين.

ولما اقتنع الراجه بتعاليم الشيخ، أرسل في طلب آنية الأرواح (التي طالما عكف عليها) وأفرغ ما فيها على الأرض بيديه. بعد ذلك أمر أن تحضر كل الأصنام التي في قصره، فجمعت بين يديه أكوام من أصنام الذهب والفضة والطين والخشب، وكسرها الشيخ عبد الله قطعًا بسيفه وبفأس، وأحرقت الأجزاء في النار. وطلب الشيخ إلى الراجه أن يجمع كل نساء القلعة والقصر. فلما قدمن جميعًا في حضرة الراجه والشيخ، تعلمن عقائد الإسلام. وكان الشيخ مهذبًا لطيف المعشر، كما كان جذابًا رقيقًا في لغته، حتى إنه جذب إليه قلوب ساكني القصر. ولم يلبث الراجه أن أرسل في طلب وزرائه الأربعة المسنين. ولما دخلوا البهو، استولى عليهم الدهش حين رأوا شيخًا يجلس إلى جوار الراجه. فأبان لهم الراجه المهمة التي جاء من أجلها هذا الشيخ. وعندئذ أظهر الزعماء الأربعة استعدادهم للاقتداء بجلالته، وقالوا: «إننا نأمل أن يعلمنا الشيخ عبد الله كذلك». ولما سمع هذا الأخير هذه الكلمات، احتضنهم، وقال لهم إنه يأمل، لكي يبرهنوا على إخلاصهم، أن يستدعوا شعبهم بأسره إلى بهو الاستقبال، ويحضروا معهم كل الأصنام التي تعودوا أن يعبدوها، والأصنام التي انتهت إليهم عن طريق آبائهم الأولين.

وأجيب الشيخ إلى طلبه، وأحضرت في الوقت المحدد كل الأصنام التي كان الشعب يحتفظ بها، وهناك حطمت وحرقت وأصبحت رمادًا تذروه الرياح. ولم يأسف واحد منهم على ما أصاب آلهتهم الزائفة من الخراب والدمار، وكانوا جميعًا فرحين مستبشرين دخولهم

في حظيرة الإسلام. ثم سأل الشيخ عبد الله الوزراء الأربعة: «ما اسم أميركم؟» قالوا: «اسمه پرا أونج مهاوانجسا». قال الشيخ: «فدعونا نستبدل باسمه اسمًا بلغة الإسلام». وبعد تبادل الرأي، طلب الراجه نفسه أن يحول اسمه إلى السلطان مُزْلف الشاه، لأن الشيخ قد أكد أنه اسم مشهور وأنه ورد في القرآن[1].

والآن بنى الراجه المساجد في البقاع الآهلة بالسكان، وأمر بأن يُلحق بكل مسجد أربعة وأربعون شخصًا على الأقل من السكان، على أن يكونوا جماعة تقيم في المسجد وتعكف على العبادة، لأن أي عدد أقل من ذلك قد يكون غير كاف لتأدية الواجبات الدينية. ومن ثم بنيت المساجد، وألحقت بها طبول كبيرة تُدق لدعوة الناس إلى صلاة الجمع. وظل الشيخ عبد الله، وقتًا ما، يفقه الناس في الدين، وانثالوا عليه من جميع سواحل قويدة ومقاطعاتها وما جاورها، وتعلموا على يديه صيغ الإسلام وشعائره.

وقد وصلت أخبار تحول سكان قويدة إلى الإسلام على يد الشيخ عبد الله، إلى أتجيه، فأرسل إليه سلطان هذه البلاد، ورجل يدعى الشيخ نور الدين، وهو داع عربي، كان قد قدم من مكة، بعض كتب، ورسالة؛ وهذا نص الرسالة:

«هذه الرسالة من سلطان أتجيه ونور الدين إلى أخينا سلطان قويدة والشيخ عبد الله اليمني الذي يقيم الآن في قويدة. أرسلنا إليكم كتابين من كتب الدين، حتى تتأكد دعائم العقيدة الإسلامية، ويتعلم الناس واجباتهم وشعائر دينهم تعلمًا كاملًا».

وأرسل الراجه والشيخ عبد الله رسالة يردان فيها على هذه الرسالة، ويشكر أنهما على ما أنعما به عليهما. ومن ثم ضاعف الشيخ عبد الله جهوده وبنى زوايا في كل القرى على اختلافها بالإضافة إلى ما فيها من المساجد، ليكون الانتفاع عامًا، وعلى الناس كل أحكام الدين وشعائره. وكان الراجه وزوجته ملازمين للشيخ، يتعلمان قراءة القرآن. وبحث هذان الزوجان عن امرأة من نسل الراجات لتكون زوجة للشيخ. ولكن لم يرغب أحد في

---

[1] مؤلف لم ترد في القرآن بهذه الصيغة، وربما كانت الإشارة إلى قوله تعالى (سورة ٢٦ آية ٩٠): {وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ}.

أن يهب ابنته زوجة للشيخ، لأن هذا الرجل المقدس كان يوشك أن يعود إلى بغداد، وأنه كان لا ينتظر إلا أن يفرغ من تعلم شخص تعليمًا كافيًا يقوم مقامه بعد مغادرته البلاد.

وكان للسلطان في ذلك الحين ثلاثة أولاد: راجه معظم شاه، وراجه مُحَمَّد شاه، وراجه سليمان شاه: وهذه الأسماء كان الشيخ عبد الله قد أخذها من القرآن، وخلعها على هؤلاء الأمراء الذين أسدى هذا الشيخ النصح إليهم بأن يصطنعوا الصبر والأناة وألا يسرع إليهم الغضب في معاشرتهم عبيدهم والطبقات الدنيا، وأن ينظروا بعين الشفقة والعطف إلى عباد الله أجمعين، وإلى الفقراء والمعوزين[١].

ولا يزعمن زاعم أن أعمال الشيخ عبد الله قد كللت بنجاح تام؛ لأننا نعلم من أخبار أتجيه أن أحد سلاطين هذه البلاط، وكان قد غزا قويدة في سنة ١٦٤٩، قد نصب نفسه «لأن يؤسس الإسلام في البلاد تأسيسًا أقوى ثباتًا، ويخرج معابد الليار Liar» أي هياكل الأصنام[٢]. وعلى ذلك، كان قد مضى قرن ونصف قرن قبل أن تستأصل شأفة الوثنية من هذه البلاد.

وليس لدينا أخبار أخرى مفصلة في تاريخ تحول أهالي شبه جزيرة الملايو إلى الإسلام، ولكننا نجد في أماكن كثيرة أضرحة دعاة العرب الذين كانوا أول من دعوا بينهم إلى هذه العقيدة، تلقى من هؤلاء الناس تعظيمًا[٣]. وقد أدت معاشرتهم الطويلة للعرب ومسلمي ساحل الهند الشرقي إلى جعلهم محافظين شديدي التمسك بفروض دينهم، واشتهروا بين الناس بأنهم خير من يقتدى به من مسلمي الأرخبيل. كما أدى اتصالهم المستمر بالهندوكيين والبوذيين والمسيحيين والوثنيين من سكان بلادهم، إلى جعلهم في الوقت نفسه على جانب من التساهل والتسامح. وهم شديدو التمسك بالمحافظة على صوم رمضان وتأدية فريضة الحج إلى مكة. ويرون دائمًا أن المنافع الدينية التي ينالها

---

(١) A translation of the Keddah Annals, by Lieut- Col. James Low, vol. iii. Pp. 474-7.

(٢) Id. P. 480.

(٣) Newbold, vol. i. p. 252.

الناس، إنما هي في الوقت نفسه، سعادة دنيوية لهم. وإذا وجدوا قرية بها أكثر من أربعين منزلًا، ورأوا أن سعتها تستلزم تنظيمها وتعيين موظفين دائمين للقرية، جعلوا من بين أفراد هؤلاء الموظفين داعيًا يعظ الناس في الدين. وقد بنوا بطريقة رسمية مسجدًا وأسسوه[١].

وفي الشمال، حيث تتاخم ولايات الملايو منطقة سيام، أثر الإسلام تأثيرًا لا بأس به بين أهالي سيام من البوذيين. ويطلق على من دخلوا في الإسلام منهم السمسم Samsams، وهم يتكلمون لغة هي رطانة مزيجة من لغتي الشعبين جميعًا[٢]. كذلك أدخل في الإسلام فريق من بين القبائل المتوحشة في شبه الجزيرة[٣].

وإن تاريخ انتشار الإسلام في الهند الصينية يحوطه الغموض والإبهام، ولا يبعد أن يكون تجار العرب والفرس قد أدخلوا دينهم إلى المدن الساحلية منذ القرن العاشر، ولكن يعزى أهم توسع لهذا الدين إلى هجرات أهل الملايو التي بدأت في نهاية القرن الرابع العشر[٤].

والآن، يجب أن نرجع إلى وراء قرونًا كثيرة، لنتتبع تاريخ تحول جاوة إلى الإسلام، ولا شك أن الدعوة إلى مبادئ الإسلام وإذاعتها في أهالي هذه الجزيرة، كانت كلها نتيجة لما قام به أفراد من التجار أو من زعماء الجاليات الصغيرة منذ وقت طويل؛ فلم يكن من جاوة قوة إسلامية مركزية تشعّ آثارها في مصلحة الدين الجديد، أو تفرض قبول هذا الدين بالوسائل الحربية. بل على العكس من ذلك، صبح دعاة المسلمين في هذه البلاد على ارتباط بالحضارة الهندوكية، التي كانت قد تغلغلت أصولها في أعماق حياة تلك البلاد، ورفعت الجاويين إلى مستوى عال من الثقافة والرقى، ويظهر ذلك أكثر وضوحًا في تلك النظم والقوانين التي تختلف عن نظم بلاد العرب وقوانينها اختلافًا جوهريًا.

بل لقد أخفقت الشريعة الإسلامية، إلى الآن، في أن توطد دعائمها توطيدًا كاملًا،

---

(١) Mc Nair, pp. 226-9.

(٢) J. H. Moor, p. 242.

(٣) Newbold, vol. ii. Pp. 106, 396.

(٤) R. du M. M., tome ii. (1907). Pp. 137-8.

حتى في الأماكن التي تتغلب فيها سيطرة الإسلام. وهنالك صراع دائم بين أنصار عادات الملايو القديمة، وجماعة الحاجي، الذين عادوا بعد أن أدوا فريضة الحج في مكة، متحمسين متشددين في المحافظة على الشريعة الإسلامية. ومن ثم كان لا بد أن يخطو عمل التحول إلى الإسلام خطوات بطيئة جدًا، ويمكن أن نقول في تأكيد مقبول إنه في الوقت الذي نجد فيه أن من الممكن أن نخلص جانبًا من تاريخ هذه الحركة التي قامت على نشر تعاليم الدعوة مما شابه من الأساطير والتقاليد، نرى لزامًا أن يبقى كثير من هذا التاريخ مجهولًا لدينا جهلًا تامًا.

ونجد في أخبار الملايو، التي تفيدنا فيما تمدنا به من وصف لأول الداعين إلى هذا الدين، أن ما كان يدخل، من غير شك في عمل أجيال كثيرة، وما كان يجب أن يستمر في خلال قرون شتى، نراه ينحصر في نطاق سنوات قلائل؛ وتكتسب أسماء قليلة معروفة، كما يحدث غالبًا في التواريخ الشعبية، الشهرة والثقة، وهي في الحقيقة ترجع إلى ما قام به أسلافهم المجهولون من أعمال قوامها الصبر والأناة[1].

زد على ذلك أن الأعمال الهادئة العفة التي قام بها كثير من هؤلاء الدعاة، لم تكن على الأرجح لتسترعي انتباه المؤرخ الذي كان بطبيعة الحال يصوب عنايته أو لا، وقبل كل شيء إلى أعمال الملوك والأمراء ومن كان على صلة وثيقة بهم. ونحن إذ نفقد مثل تلك المعرفة العظمى، لا مفر من أن نرضى بتلك الحقائق التي وصلت إلينا.

لذلك نرى أن نورد في الصفحات التالية، صورة موجزة عن تأسيس الدين الإسلامي في هذه الجزيرة، كما تصورها الأخبار القومية التي لا شك أنها، على الرغم من أنها ملأى بالتناقض والخرافات، تقوم على أساس تاريخي؛ ويدلنا على ذلك ما نقش على مقابر الشخصيات المهمة التي ذكرت في هذه الأخبار، وعلى آثار المدن القديمة ونحو ذلك. لهذا لا بأس من أن نقبل الأخبار الآتية، مع افتقارها إلى دليل يثبت صحتها، على أنها صحيحة في جوهرها، على أن نأخذ الحذر الذي سبقت الإشارة إليه، من نسبة آثار

---

[1] Snouck Hurgronje (1), p. 9.

فائقة مفرطة إلى جهود أفراد في نشر تعاليم الدعوة.

كان أول من قام بالمحاولة الأولى لإدخال الإسلام إلى جاوة، رجل من أهالي هذه الجزيرة حول نهاية القرن الثاني عشر. وقد ترك أول ملوك باجاجاران **Pajajaran**، وهي ولاية في الجهة الغربية من الجزيرة، ولدين: أما أكبرهما فقد آثر أن يزاول التجارة، وباشر بعثة تجارية ذاهبة إلى بلاد الهند، تاركًا أخاه الأصغر الذي خلفه على العرش في سنة ١١٩٠، وتلقب بلقب پرابو موندنج ساري **Prabu Munding Sari**. وفي أثناء تطواف ذلك الابن الأكبر، لقي بعض تجار العرب، فدخل في الإسلام على أيديهم، واتخذ لنفسه اسم حاجي پُروا. ولما عاد إلى وطنه، حاول بمعونة أحد دعاة العرب أن يدخل أخاه والأسرة المالكة في دينه الجديد. ولكن جهوده لم تصادف نجاحًا، فهرب إلى الأدغال خوفًا من الملك ورعاياه الكفار، ولم نسمع عنه شيئًا بعد ذلك[١].

وفي النصف الأخير من القرن الرابع، تكوّنت حركة للدعوة، نالت نجاحًا أعظم، على يد شخص يدعى مولانا ملك إبراهيم، وقد رسا على ساحل جاوة الشرقي مع إخوانه في الدين، واستقر قريبًا من بلدة جريسك **Gresik**، وهي قبالة جزيرة مادورة. ويقال إنه كان يُرجع نسبه إلى زين العابدين أحد أبناء أحفاد علي، وإنه كان ابن عم راجه تشرمن **Chermen**[٢]. وهنا شغل نفسه في القيام بتحويل الناس إلى الإسلام وأحرز نجاحًا في هذه السبيل؛ وسرعان ما جمع حوله فئة قليلة من المؤمنين. وأخيرًا اتصل بابن عمه، راجه تشرمن، الذي قدم إلى هذه البلاد أملًا في أن يحول راجه مملة ماچا پاهيت **Majapahit** الهندوكي إلى الإسلام وأن يعقد معه حلفًا بعرض زواج ابنته عليه. فلما وصل أرسل ابنه، صادق مُحَمَّد، إلى ماچاپاهيت ليحدد وقتًا للمقابلة، على حين شغل هو نفسه ببناء مسجد وتحويل السكان إلى الإسلام.

---

[١] **Veth (3) vol. 1. P. 215, Raffles (ed. Of 1830), vol. ii. Pp. 103, 104, 183.**

[٢] موقع تشر من غير محقق؛ ويظن فيث **Veth (3), vol. i. p. 230** أن من الممكن أن يكون في بلاد الهند؛ ولكن روفاتير **Rouffaer (p. 115 n)** يسرد أسبابًا جيدة للتدليل على أن هذا البلد يقع في سومطرة.

وكان من أثر ذلك أن تمت مقابلة الأميرين، ولكن قبل أن يتمكن من موالاة ذلك التأثير الذي بلغوه في ذلك الحين، تفشى مرض بين شعب راجه تشرمن، فقضى على ابنته، وثلاثة من أبناء أخيه، كان قد صحبهم معه، وفريقًا عظيمًا من رجال حاشيته؛ ومن ثم عاد هو إلى مملكته. وقد جعلت هذه الكوارث عقلية راجه ماچاپهيت تتحامل على هذا الدين الجديد، الذي كان ينبغي، كما قال هذا الراجه، أن يكون من الأصوب حماية معتنقية. وكان من أثر ذلك أن أخفقت البعثة. على أن مولانا إبراهيم تخلّف، ليتعهد مقابر[1] ذويه وإخوانه في الدين، أما هو فقد قضى نحبه بعد ذلك بإحدى وعشرين سنة، وذلك سنة ١٤١٩، ودفن في جريسك حيث لا يزال المسلمون يعظمون قبره ويعدونه أول رسل الإسلام إلى جاوه.

ويذكر أحد مسلمي الصين، وكان قد صحب سفارة إمبراطور الصين إلى جاوة في وظيفة مترجم، قبل موت مولانا إبراهيم بست سنوات، أي في سنة ١٤١٣، قدوم إخوانه في الدين في هذه الجزيرة تحت عنوان «وصف عام لسواحل المحيط»، حيث يقول: «في هذه البلاد ثلاثة أنواع من الشعب: الأول المسلمون الذين جاءوا من الغرب واستقروا هنا، وزيهم وطعامهم نظيف مناسب. والثاني الصينيون الذين هربوا واستوطنوا هنا، وما يأكلون ويستخدمون بديع جدًا كذلك، وكثير منهم قد اعتقدوا الدين الإسلامي وحافظوا على تعاليمه. والثالث الأهالي الذين على جانب عظيم من القبح والفظاظة، وهم يجيئون ويذهبون حفاة حاسري الرؤوس، ويعتقدون في الشياطين في خشوع وتبتل. ولكون بلادهم معروفة بذلك أطلق عليها في كتب البوذية بلاد الشيطان»[2].

والآن نقترب من الفترة التي أصبح فيها لحكم المسلمين السيادة في الجزيرة، بعد أن تسرب دينهم إليها بما يقرب من قرن. وهنا نرى لزامًا أن ندخل في تفصيلات التاريخ، على نحو أكثر دقة نوعًا ما، لكي نبين أن ذلك لم يكن نتيجة أية حركة قوامها التعصب

---

[1] وقد أورد J. F. G. Brumund ص١٨٥ وصفًا للحالة الراهنة لتلك المقابر، ولا يزال يرى على واحدة منها آثار نقش مكتوب بحروف عربية.

[2] Groeneveldt, pp. vii. 49-50.

الديني، أثارها العرب، بل نتيجة ثورة قام بها أهالي البالد أنفسهم[١]، الذين (مع أنهم بطبيعة الحال اكتسبوا القوة من وراء ارتباطهم برباط دين مشترك) حُرضوا على أن يجمعوا كلمتهم لينتزعوا السلطة العليا من أيدي مساكنيهم الوثنيين، لا بالدعوة إلى حرب دينية، ولكن عن طريق ما وجهه أحد المطالبين بالعرش من الطامحين، وكان قد لحقه ظلم، من تحذير وإنذار، فأراد التشفي والانتقام[٢].

ونستطيع أن نصف الحالة السياسية في الجزيرة كما يلي: كانت الإمارات الوسطى والشرقية من الجزيرة، وكانت أكثر الإمارات ثروة وعمرانًا، وأبعدها تقدمًا نحو المدينة، تحت سلطان دولة ما جاپهيت الهندوكية. وفي أقصى الغرب نجد تشريبون Cheribon وإمارات أخرى كثيرة، صغيرة مستقلة؛ حين كان سائر الجزيرة، ويشمل كل المقاطعات الواقعة في أقصى حدودها الغربية، خاضعًا لملك پاججاران.

كان ملك ماجا پاهيت قد تزوج من ابنة أمير تشامپا Champa، وهي ولاية صغيرة في كامبوديا شرقي خليج سيام[٣]. ولما كانت تغار من إحدى جواري الملك الحظيات، بعث الملك بهذه الجارية إلى ابنه آريه دمر Arya Damar حاكم پالمبنج Palembang في سومطرة حيث أنجبت منه ابنًا اسمه رادن پتاه Raden Patah، وقد رُبِّي على أنه أحد أبناء الحاكم. وقدر لهذا الطفل بعد سنوات (كما سنرى) أن يقدم على انتقال فظيع من جراء المعاملة القاسية التي لقيها من أمه.

وكانت بنت أخرى من بنات أمير تشامپا قد تزوجت من عربي كان قد قدم إلى تشامپا للدعوة إلى الإسلام[٤]. ومن هذا الزواج، ولد رادن رحمت Raden Rahmat الذي اعتنى والده بتربيته على الدين الإسلامي، ولا يزال الجاويون يعظمونه باعتباره أعظم

---

(١) Kern, p. 21.

(٢) Veth (3), vol. i. pp. 233-42. Raffles, vol. ii. Pp. 113-33.

(٣) على أن روفائير يضع تشامپا هذه، لا في كمبوديا ولكن على ساحل أنجيه الشمالي، ويذكر أنها هي جومبا Djeumpa الحديثة.
(Encyclopaedie van N.- J., vol. iv. P. 206).

(٤) لا تزال بقايا المآذن والمقابر الإسلامية مائلة في تشامپا.) Bastian, vol. i. pp. 498-9).

رسل الإسلام إلى بلادهم[1]. ولما بلغ العشرين من عمره، بعث به أبواه ومعه رسائل وهدايا إلى عمه ملك ماجاپاهيت. وفي طريقه، مكث شهرين في پالمبنج، ضيفًا على أريه دمر الذي كاد أن يقنعه رادن رحمت اعتقاد الإسلام، إلا أنه لم يجسر على أن يجهر بإسلامه خوفًا من الشعب الذي كان متمسكًا أشد التمسك بتقاليده القديمة. وواصل رحلته حتى بلغ جريسك حيث رحب به أحد دعاة العرب، واسمه الشيخ مولانا جُمادى الكبرى، باعتباره رسول الإسلام المنتظر إلى جاوة الشرقية، وتنبأ بأن يكون زوال الوثنية على يديه، وبأن أعماله ستكلل بدخول كثير من الناس في هذا الدين. وقد قوبل في ماجاپاهيت بترحاب عظيم، من ملك تشامپا وأميرتها. وعلى الرغم من أن الملك كان نفسه غير راغب في الدخول في الإسلام، حمل لرادن رحمت مودة واحترامًا، حتى إنه عينه حاكمًا على ثلاثة آلاف أسرة في أمپل Ampel على الساحل الشرقي، على مقربة من جريسك إلى الجنوب، وسمح له بأن يقيم شعائر الدينية، وأن يدخل من يشاء في الإسلام. وبعد وقت قصير، جذب إلى الإسلام معظم هؤلاء الذين كانوا تحت سلطته.

ومنذ ذلك الحين، كانت أمپل مقر الإسلام الرئيس في جاوه، وذاعت شهرة الحاكم الذي كان يعمل في حماسة بالغة للدعوة إلى دينه، وطبقت شهرته الآفاق. ومن ثم قدم إلى أمپل شخص يدعى مولانا إسحاق، ليمد له يد المساعدة في تحويل الناس إلى هذا الدين، وعهد إليه في مهمة نشر الإسلام في مملكة بلمبنجن Balambangan في أقصى الحدود الشرقية لهذه الجزيرة. وهنا شفشى ابنة الملك التي كانت مصابة بمرض عُضال، فوهبها

[1] ويوضح جدول الأنساب الآتي صلات القرابة هذه، كما أشير في نصوص هذا الكتاب: إلى قرابات أخرى فيما بعد.

	ملك تشامبا		
ابنة = داع عربي		ابنة قعمي داراوتي = أنجكا وجاية ملك	
			ماجاياهيت = جارية
رادن رحمت		اريه دمر	
		ران حسين	
رادن باكو = ابنة		ابنة =	رادن بناء

أبوها البار زوجة لهذا الشيخ. واعتقدت دين الإسلام وتحمست له، وأباح أبوها لنفسه أن يتلقى تعاليم الإسلام، ولكنه حين حثه مولانا على أن يجهر بهذا الدين، كما كان قد وعده ذلك إذا شفيت ابنته على يديه، طرده من مملكته، وأمر بأن يقتل الطفل الذي كانت بنته توشك أن تضعه. ولكن الأم بعثت بالطفل خفية إلى جريسك إلى أرملة مسلمة غنية[١]، فربته كأحسن ما تربى الأم ابنها، وعلمته حتى بلغ الثانية عشرة من عمره، فأسلمته إلى رادن رحمت ليتعهده ويرعاه. وبعد أن عرف قصة هذا الطفل، سماه رادن پاكو، وبعد وقت، زوجه من ابنته كذلك. بعد ذلك بنى رادن باكو مسجدًا في جيري Giri في الجنوب الغربي من جريسك، حيث أدخل في الدين آلافًا من الناس. وبلغ من عظم نفوذه أن عينه ملك ماجاپاهيت، بعد وفاة رادن رحمت، حاكمًا على أمپل وجريسك[٢].

وفي هذه الأثناء، تألفت بعوث دينية كثيرة من جريسك. واستقر ولد رادن رحمت من جهات شتى من الساحل الشمالي الشرقي، وذاعت شهرتهم بفضل حماستهم الدينية، وإدخال كثير من سكان هذه الجهات في الإسلام. كذلك أرسل رادن رحمت داعيًا، يدعى الشيخ خليفة حسين، إلى جزيرة مادورة المجاورة، حيث بنى مسجدًا وكسب كثيرًا من الناس للإسلام.

والآن نرجع إلى أريه دمر، حاكم بالمبنج (انظر ص٣١٨). ويظهر أنه ربى أبناءه على الدين الذي خشى هو أن يجهر به، وحينذاك أرسل رادن پتاه، عندما بلغ العشرين من عمره، مع أخيه في الرضاعة، رادن حسين، وكان أصغر منه بسنتين، إلى جاوة حيث نزلا في جريسك. ورفض رادن پتاه أن يصحب أخاه في الرضاعة إلى ماجاباهيت، لأنه كان يعلم تمام العلم منبته ونسبه، ساخطًا على المعاملة القاسية التي كانت أمه قد لقيتها، ولكنه بقي في أمپل مع رادن رحمت، على حين واصل رادن حسين سفره إلى الحاضرة حيث اختفى به، ووكل إليه أمر مقاطعة من المقاطعات، وأصبح فيما بعد قائد الجيش.

---

[١] يحفظ الجاويون ذكرى هذه المرأة في شرف عظيم، وكثير منهم يفدون الصلاة على ضريحها. انظر Brumund, p. 186.

[٢] Veth (3), vol. i. pp. 235-6.

في هذه الأثناء، تزوج رادن پتاه من حفيدة رادن رحمت، وكوّن مؤسسة في مكان يدعى بنتره Bintara. وكان يتميز بقوته الطبعة العظيمة، في وسط بقعة مليئة بالآجام، غربي جريسك. ولم يكد يسمع ملك ماجاپاهيت عن هذه الجالية الجديدة، حتى بعث برادن حسين إلى أخيه يستقدمه إلى الحاضرة، ويطلب إليه تقديم الطاعة للملك. وقد حمله رادن حسين على أن يفعل ذلك، فذهب إلى البلاط حيث فطن الناس في الحال إلى مشابهته الملك، وحيث قوبل بترحاب، وعين رسميًا حاكمًا على بنتره. ولما كان لا يزال يتحرق إلى الانتقام ويجنح إلى تخريب مملكة والده، عاد إلى أمپل، حيث أفضى بخططه إلى رادن رحمت. وحاول هذا الأخير أن يلطف من غضبه، مذكرًا إياه أنه لم يلق قط على يدي أبيه ملك ماجاباهيت، إلا كل لطف ورعاية، وأنه في الوقت الذي كان فيه الأمير على جانب عظيم من العدل واكتساب محبة الناس، أبى عليه دينه أن يعلن حربًا أو يلحق به أذى بحال من الأحوال.

على أن بتاه لم يقتنع بتلك النصائح (كما يتضح ذلك فيما بعد)، فعاد إلى بنتره، وكانت في ذلك الحين تزداد أهميتها ويكثر سكانها يومًا بعد يوم، على حين كانت جماعات كبيرة من الأهالي في البلاد المحيطة تدخل في الإسلام. وكان قد وضع خطة لبناء مسجد عظيم؛ ولكن بعد أن بدأ بناء هذا المسجد بوقت قصير، وصلت الأخبار بأن رادن رحمت قد أصيب بداء عياء. فأسرع رادن پتاه إلى أمپل، حيث ألفى رؤساء الدعوة إلى الإسلام يجتمعون حول فراشه، وينظرون إليه باعتباره زعيمًا لهم. وكان من بينهم ولدًا رادن رحمت، وقد تقدم ذكرهما، ورادن پاكو الذي كان يقيم في جيري، وخمسة أشخاص آخرين. ولفظ رادن رحمت نفسه الأخير بعد أيام قليلة، فزالت بذلك العقبة الوحيدة الباقية التي كانت تقف في سبيل خطط رادن پتاه الانتقامية، وصحبه الزعماء الثمانية عائدين إلى بنتره حيث أعانوه على تتمة بناء المسجد[1]. وتعاطوا بينهم ميثاقًا غليظًا على أن يساعدوه في محاولته ضد ماجاباهيت. وارتبط الأمراء المسلمون جميعًا بهذا الحلف، عدا رادن حسين الذي ظل مخلصًا لسيده هو وأتباعه جميعًا، وأبى أن يدلي بدلوه مع إخوانه في الدين الثائرين.

[1] لا يزال هذا المسجد قائمًا، وينظر إليه الجاويون على أنه من أقدس الآثار في جزيرتهم.

وتبع ذلك حملة طويلة الأمد، لا حاجة بنا إلى الدخول في تفصيلاتها، ولكن في سنة ١٤٧٨[١]، بعد أن نشب قتال مستعر دام سبعة أيام، هُزم ماجاباهيت، وحلت السلطة الإسلامية محل السيادة الهندوكية في جاوة الشرقية. وبعد ذلك بوقت قصير، حوصر رادن حسين وأتباعه في مكان حصين، واضطر إلى التسليم، وسيق إلى أمپل، حيث قابله أخوه مقابلة لطيفة. وهرب عدد كبير من الذين ظلوا مخلصين لديانتهم الهندوكية القديمة في سنة ١٤٨١ إلى جزيرة بالي، حيث لا تزال عبادة سيوه هي الديانة السائدة[٢].

ويظهر أن آخرين كونوا ممالك صغيرة بقيادة أمراء بيت ماجاباهيت الذي ظل وقتًا ما على وثنيته، بعد أن سقطت قاعدة الهندوكيين الكبيرة. ولقد ظل أهالي جاوة الوسطى على وثنتيهم وقتًا طويلًا، حتى في ظل رؤساء المسلمين، وكان تقدم الإسلام نحو الجنوب من المراكز الأولى للدعوة على الساحل الشمالي نتيجة عمل قرون. ويتجلى بوضوح تأثير عقيدتهم الهندوكية القديمة حتى الوقت الحاضر، في الأفكار الدينية لأهالي جاوة الوسطى من المسلمين. ومن الأدلة الواضحة على تلك الجذور العميقة التي ألقتها الديانة الهندوكية في هذه الجهة من الجزيرة، تلك الحقيقة، وهي أن الرجوع إلى كتب القوانين الهندية ومجموعة قوانين مانو بوجه خاص، لم يذعن أمام مجموعة القوانين التي كانت أكثر تمشيًا مع

---

[١] ويبدو أن هنالك قليلًا من الشك في أن هذا التاريخ مبكر جدًا. وإن دراسة المصادر البرتغالية تشير إلى هذه النتيجة، وهي أن ماجاباهيت لم ينهزم إلا بعد ذلك الحين بأربعين سنة. **(Rouffaer, p. 144)**.

[٢] وقد قاوم شعب بالي، حتى الوقت الحاضر، معظم الجهود الحماسية التي بذلها المسلمون لحث هذا الشعب على قبول دين الإسلام، على الرغم من دخول الناس في هذا الدين من حين إلى حين، ومن تكوين جماعة إسلامية صغيرة من الأهالي يبلغ عددها نحو ٣٠٠٠ نفسا، من جملة السكان الذين يربو عددهم على ٨٦٢٠٠٠ نفسا. وكان موقع الجزيرة الملائم للأهداف التجارية، يجذب دائمًا إلى شواطئها عددًا من الغرباء، كانوا في أغلب الأحيان يتخذون من الجزيرة مقرًا ثابتًا. وبينما نجد بعض هؤلاء الغرباء المستوطنين يحرصون دائمًا على أن يكونوا بمنأى من أهالي البلاد، نرى آخرين منهم يتعاقدون معهم على الزواج، وكان من أثر ذلك أن اندمجوا في جمهور الأهالي. وإلى جهود هؤلاء، يرجع الفضل فيما أحرزه الإسلام من هذا التقدم المؤكد، وإن كان تقدمًا بطيئًا جدًا. ويقال إن مصلبي بالي يؤلفون جماعة نشيطة مزدهرة، زاخرة بالغيرة على ترقية دينهم، تلك الجماعة التي تؤثر – على الأقل– في جيرانهم الوثنيين، على الرغم من أن هذه الجماعة لم تصادف نجاحًا في إقناعهم بنبذ طعامهم المحبب وهو لحم الخنزير، من أجل عبادة الله. **(Liefrinck, pp. 241-3)**.

روح التشريع الإسلامي، إلا في سنة ١٧٦٨[١].

دخل الإسلام إلى الجهات الشرقية من الجزيرة بعد ذلك بسنوات قلائل، وربما كان ذلك في أوائل القرن التالي، بسبب نشاط الدعوة الذي أظهره الشيخ نور الدين إبراهيم أحد أهالي تشريبون. وقد كسب لنفسه شهرة عظيمة لشفائه امرأة كانت مصابة بالجذام. وكان من أثر ذلك أن آلافًا من الناس جاءوا إليه ليتعلموا شعائر الدين الجديد. وقد حاول من جاوره من الزعماء أن يناهضوا هذه الحركة أول الأمر، ولكنهم لما وجدوا أن معارضتهم لا طائل تحتها سمحوا لأنفسهم أن يَجْروا مع التيار، ودخل كثير منهم في الإسلام[٢].

وأرسل الشيخ نور الدين إبراهيم التشريبوني، ابنه مولانا حسن الدين، يدعو إلى الإسلام في بنتام، أكثر ولايات الجزيرة انحرافًا نحو الغرب، وإحدى ملحقات مملكة باجاجاران الوثنية. وهنا تكللت جهوده بنجاح عظم، بين الداخلين في الإسلام الذين كانوا طائفة من النساك، يبلغ عددهم ٨٠٠ وتذكر أخبار هذه الجهة من البلاد، بنوع خاص، أن الأمير الشاب قد كسب هؤلاء الذين دخلوا في الإسلام على يديه، بوسائل الإقناع اللطيفة وحدها، وليس بحد السيف[٣].

بعد ذلك ذهب مع أبيه إلى مكة لتأدية فريضة الحج؛ وعند عودته بسط نفوذه على ساحل سومطرة القريب من بلاده، دون أن يمتشق سلاحًا، واجتذب الذين دخلوا في الإسلام على يديه بالوسائل السلمية وحدها[٤].

ولكن يظهر أن تقدم الإسلام غربي جاوة كان أبطأ بكثير منه في شرقيها، فقد تبع ذلك أن قام نزاع طويل بين عُبّاد الإله سيوه وأتباع النبي، ولا يبعد أن تكون مملكة باجاران الهندوكية، التي يظهر أنها باشرت السيادة على الإمارات في الجهة الغربية من

---

(١) Encyclopaedie van N, -I., vol. ii. P. 523.

(٢) Veth (3), vol. i. pp. 245, 284.

(٣) Reffles, vol. ii. P. 316.

(٤) Veth (3), vol. i. pp. 285-6.

الجزيرة، في وقت واحد من تاريخ جلوة، لم تصل إلى نهايتها إلا في أواسط القرن السادس عشر[١]، على حين ظلت طوائف وثنية أخرى أقل عددًا، باقية حتى عصر أحدث من ذلك بكثير[٢] بل ظل بعضًا حتى الوقت الحاضر.

ولإحدى هذه الطوائف، وتسمى البدويس Baduwis ، تاريخ ذو أهمية خاصة. وهم ذرية قوم من أشياع الدين القديم، هربوا بعد سقوط باجاجاران إلى الغابات ومخابئ الجبال ليتمكنوا من موالاة إقامة شعائر دين أجدادهم. وفي عصور أحدث من ذلك، عندما أذعنوا لحكم سلطان بنتام المسلم، سمح لهم أن يواصلوا إقامة شعائرهم الدينية، على شريطة ألا يسمح لهم بزيادة الجماعات التي تجهر بالعقيدة الوثنية[٣].

ومن الغريب أن يقال إنهم لا يزالون يحافظون على هذه العادة، على الرغم من أن الحكم الهولندي قد توطدت دعائمه في جاوة مدة طويلة، وأنه يحررهم من ضرورة الإذعان لما اتفقوا عليه منذ القدم. وهم يحددون عددهم تحديدًا دقيقًا، بحيث لا يتجاوز أربعين أسرة، فإذا زادت الجماعة على هذا الحد، وجب على أسرة أو أكثر أن يتركوا النطاق الداخلي الذي يقيمون فيه، ويستقروا بين الأهالي المسلمين في إحدى القرى المحيطة بهم[٤].

ولكن على الرغم من أن عمل التحويل إلى الإسلام في غرب جاوة كان أبطأ منه في سائر جهات الجزيرة، كان انتصار الإسلام على العبادة الوثنية التي حل هذا الدين محلها، أتم منه في المقاطعات التي كانت أسرع في الانضواء تحت حكم راجيات ماجاباهيت؛ وإنما يرجع ذلك بنوع خاص، إلى تلك الحقيقة، وهي أن الديانة الهندوكية لم تكن قد تغلغلت بين الشعب في هذه البقعة، كما تغلغلت في وسط الجزيرة. والشريعة الإسلامية هنا قوة حيوية، كما أن الحضارة التي جلبت من بلاد العرب إلى هذه البلاد،

---

(١) ÷ d. pp. 305, 318-9.

(٢) ويذكر رحالة كان في جاوة في سنة ١٥٩٦ مملكتين أو ثلاث ممالك وثنية، يمكنها عدد كبير من الأهالي الوثنيين.) Niemann, p. 342).

(٣) Raffles, vol. ii. Pp. 132-3.

(٤) Metzger, p. 279.

قد اتسقت مع الحكومة وحياة الشعب. وقد لاحظنا أن مسلمي غربي جاوة، في الوقت الحاضر، وهم الذين يدرسون ديانتهم دراسة تامة، ويؤدون فريضة الحج في مكة يؤلفون في العادة، أشد طبقات الأهالي نجابة ورفاهية[١].

ولقد رأينا من قبل أن طوائف كبيرة من الجاويين ظلوا على وثنيتهم قرونًا بعد قيام الممالك الإسلامية في الجزيرة. وجميع أهالي جاوة في الوقت الحاضر مسلمون، عدا قلة ليس لها شأن يذكر. ومع أن كثيرًا من الخرافات والعادات قد بقى بينهم من أيام أجدادهم الوثنيين، لا يزال الميل يتجه دائمًا إلى إرشاد التفكير والسلوك على هدى تعاليم الإسلام. وقد سارت جهود التحويل إلى الإسلام تلك المدة الطويلة قُدمًا في هدوء وتدرك، كما يرجع نمو الولايات الإسلامية في الجزيرة إلى تاريخها السياسي أكثر من أن يكون راجعًا إلى تاريخها الديني، ذلك أن أحرزه الدين من تقدم كان نتيجة أعمال الدعاة أكثر من أن يكون نتيجة أعمال الأمراء.

وفي الوقت الذي كان مسلمو جاوة يتآمرون على الحكومة الهندوكية ويضعون حكم البلاد في أيديهم بالقوة والعنف، كانت تدبَّر ثورة لا تحمل في طياتها إلا طابع الهدوء، في سائر أجزاء الأرخبيل، عن طريق الدعوة إلى الإسلام التي قام بها الدعاة الذين كانوا يحرزون نجاحًا بطيئًا، ولكنه كان مؤكدًا، فيما بذلوه من جهود في نشر تعاليم الدعوة. ولنوجه عنايتنا أولًا إلى تاريخ حركة الدعاية هذه جزائر ملوكّس.

ولا بد أن تكون تجارة القرنفل قد أدت إلى ارتباط أهل ملوكس بسكان الجزائر في النصف الغربي من الأرخبيل منذ أزمان مبكرة جدًا، ونشر الجاويون الذين دخلوا في الإسلام، وأهل الملايو الآخرون الذين قدموا إلى هذه الجزائر للتجارة، دينهم بين سكان الساحل[٢]. ويرجع رفاق مجلان Magellan هذا إلى قصة عجيبة، عن الطريقة التي أدخل

---

[١] L. W. C. van den Berg (1), pp. 35-6. C. Peonsen, pp. 3-8.

[٢] De Barros, Dec. iii. Liv. V. Cap. V. pp. 579-80. Argensola, p. II B.

بها هؤلاء الرفاق عقائدهم الدينية بين أهالي ملوكس: «بدأ ملوك هذه الجزائر[١]، قبل قدوم الإسبانيين بسنوات قليلة يعتقدون خلود الروح، ولم يقتنعوا إلا بحجة واحدة، وهي أنهم كانوا قد رأوا طائرًا صغيرًا رائع الجمال لا نظير له على الأرض، ولا على أي شيء يتعلق بالأرض. وقد أخبرهم المسلمون الذين كانوا يزاولون التجارة في هذه الجزائر، أن هذا الطائر الصغير قد ولد في الجنة، وأن هذه الجنة هي المكان الذي تستريح فيه أرواح الموتى. ولهذا السبب، انضم السادة إلى طائفة المسلمين لأنها تعدهم أشياء كثيرة عجيبة في هذا المكان الذي تستريح فيه الأرواح»[٢].

ويظهر أن الإسلام بدأ يحرز تقدمًا لأول مرة في هذه البقعة في القرن الخامس عشر. وقد أذعن ملك تيدور الوثني لما قدمه إليه عربي يدعى الشيخ منصور من إقناع، واعتقد الإسلام مع كثير من رعاياه. وأبدل باسم الملك الوثني، تجيريلي ليجاتو **Tjireli Lijatu** اسم جمال الدين، كما سمى أكبر أبنائه منصورًا على اسم معلمهم العربي[٣]. وكان هذا الأمير الأخير هو الذي أكرم وفادة البعثة الإسبانية التي وصلت إلى تيدور في سنة ١٥٢١، بعد أن لاقى مجلان حتفه المشئوم بزمن قصير. ويسميه پيجافتا، مؤرخ هذه البعثة، باسم ريا سلطان موزور **Raia Sultan Mauzor**، ويقول إن عمره كان يزيد على خمس وخمسين سنة، وإنه لم يمض أكثر من خمسين سنة على قدوم الملسمين للإقامة في هذه الجزائر[٤].

---

[١] في هذه الفترة، كان أهل ملوكس في أغلب الأحيان، في ظل حكم الأمراء الأربعة، نعني بذلك امرأة ترنات **Ternate** وتيدور **Tidor**، وجيلولو **Gilolo** وباتجان **Batjan**. وكان الأول أعظمهم نفوذًا بكثير، وامتدت ممتلكاته إلى ترنات والجزائر الصغيرة المجاورة، وجزء من هليماهيرا **Halemahera**، وجانب عظيم من جزائر سليبيس **Celebes**، وأميوبنا، وبنده **Banda**. وبسط سلطان تيدور نفوذه على تيدور وبعض الجزائر الصغيرة المجاورة وجزء من هليما هيرا، والجزائر الواقعة بينها وبين غينا الجديدة، ويقترن بذلك الساحل الغربي لغينا الجديدة، وقسم من سرام **Ceram**. ويظهر أن أراضي سلطان جيلو لو كانت تنحصر في الجزء الأوسط من هليماهيرا وفي جزء من ساحل سرام الشمالي، بينما حكم سلطان باتجان أجزاء أهمها باتجان ومجموعة أوبى.

(De Hollander, vol. i. p. 5)

Massimiliano Transilvano. (Ramusio, tom. i. p. 351 D). [٢]

P. J. B. C. Robidé van der Aa, p. 18. [٣]

Pigafetta, tome i. pp. 365, 368. [٤]

ويظهر أن الإسلام قد رسخت قدمه في جزيرة ترنات المجاورة قبل ذلك بوقت قصير؛ فقد أخبر سكان هذه الجزيرة البرتغاليين الذين قدموا إلى هذه الجزيرة في نفس السنة التي وصلت فيها الإسبان إلى تيدور، أن الإسلام كان قد دخل في بلادهم منذ أكثر من ثمانين سنة بزمن وجيز[١].

ويروى البرتغاليون كذلك[٢] أن سلطان ترنات كان أول زعماء ملوكس الذين أصبحوا مسلمين. وتحكي أسطورة دخول الإسلام إلى هذه الجزيرة كيف أثار أحد التجار، ويدعى داتو ملا حسين، حب الاستطلاع في نفوس الشعب عندما رأوه يتلو القرآن بصوت عال على مشهد منهم. وقد حاولوا تقليد الحروف المكتوبة في المصحف، ولكنهم عجزوا عن قراءتها، فسألوا التاجر كيف تمكن من قراءتها، على حين عجزوا هم عن أن يفعلوا ذلك. فأجاب أن من الواجب عليهم أولًا أن يؤمنوا بالله ورسوله. ومن ثم أعربوا عن رغبتهم في قبول بتعاليمه. وانتهوا إلى الدخول في العقيدة[٣]. وقد قيل إن سلطان ترنات الذي تبوأ أرفع مكانة بين الحكام المستقلين في هذه الجزائر، قام برحلة إلى جريسك في جاوة، ليعتقد الدين الإسلامي هناك في سنة ١٤٩٥[٤].

وقد ساعده فيما بذل من جهود لنشر الدعوة شخص يدعى پاتي پُتاه pati Putah، وكان قد قام برحلة من هيتو في أمبوينا إلى جاوة ليتعلم عقائد الدين الجديد، وينشر معارف الإسلام بين شعب أمبويتا بعد عودته[٥] على أنه يظهر أن الإسلام لم يخط أول الأمر نحو التقدم إلا خطوات بطيئة، وأنه لقي معارضة كبيرة من سكان هذه الجزائر الذين تشبثوا بخرافاتهم وأساطيرهم القديمة في حماسة وغيرة، حتى إن الوثنية القديمة ظلت

---

[١] «كلما تقدموا في البلاد أتيح لنا الوقت للتعلم من أهل البلاد سر هذه العقيدة، وكانت قد دخلت البلاد منذ نيف وثمانين سنة».
J. de Barros: Da Asia, Dec, iii. Liv. V. Cap, v. p. 580.

[٢] Id ib.

[٣] Simon, p. 13.

[٤] Bokemeyer, p. 39.

[٥] Simon, p. 13.

فترة من الزمن مشوبة بتعاليم القرآن، جاعلة عقول الشعب في حالة مستمرة من القلق[١].

كذلك جعلت غزوة البرتغاليين تقدم الإسلام أبطأ مما قد يكون لو أن هذه الغزوة لم تحدث، فقد طردوا القاضي الذي وجدوه يفقد الناس في عقائد مُحَمَّد، ونشروا المسيحية بين الأهالي الوثنيين، ولقوا في ذلك شيئًا من النجاح، وإن كان قصير الأمد[٢]. ذلك أنه عندما استغل أهل مُلوكَّس انصراف البرتغاليين الذين اشتغلوا بمتاعبهم الوطنية الخاصة، في النصف الأخير من القرن السادس عشر، وحاولوا التخلص من سلطانهم، دبروا اضطهادًا عنيفًا في وجه المسيحيين الذين استشهد كثير منهم، وارتد آخرون منهم عن ديانتهم، حتى لم يعد للمسيحية ذلك الشأن الذي كان لها من قبل[٣].

ومنذ ذلك الحين، هيأت مناهضة سلطة المسيحيين السياسية صدرًا أرحب لقبول المعلمين المسلمين الذين جاءوا من الغرب في جموع تزداد شيئًا فشيئًا[٤] وقد أجهز الهولنديون على المسيحية في ملوكس بطرد الإسبان والبرتغاليين من هذه الجزائر في القرن السابع عشر، ومن ثم حمل الآباء اليسوعيون البقية الباقية القليلة من مسيحيي ترنات معهم إلى جزائر الفيليبين[٥].

ومن هذه الجزائر انتشر الإسلام في سائر ملوكس، مع أن الذين دخلوا في الإسلام كانوا مقصورين فترة من الزمن على سكان الساحل[٦] وقد جاء معظم الذين دخلوا في الإسلام من بين سكان الملايو الذين يؤلفون جميع أهالي الجزائر الصغرى، ولكنهم

---

(١) rgensola, pp. 3-4.ِ

(٢) d. p. 15 B.÷

(٣) ÷ي.Pp. 97, 98 .

(٤) Id. Pp. 155, 158. حيث يطلق على ترنات «هذا المصب الذي كانت التيارات تنحدر إليه من كل صوب، والذي والذي تنبعث منه كل مذاهب الكفر، وخاصة عقيدة مُحَمَّد البغيضة. ومنذ عام ١٥٨٥، حين دخل الهولنديون هذه البحار، لم تكف هذه العقيدة عن الانتشار وكسب الأنصار واجتذاب قباطنة القراصنة، هؤلاء الرؤساء الذين كانوا يحملون معهم خيرات آسيا، ويخلفون مكانها هذه العقيدة، ويحولون إليها هذه النفوس».

(٥) ولا تزال سلالتهم في ولاية كافيتيه Cavité في جزيرة لوزن Luzon (Crawfurd (1), p. 85).

(٦) W. F. Andriessen, p. 222.

يسكنون في الأراضي الساحلية، من الجزائر الكبرى وحدها، على حين يسكن الألفور Alfurs في المناطق الداخلية. ولكن الذين دخلوا في الإسلام في عصور حديثة قد أخذوا من بين هؤلاء الألفور كذلك[١]. بل كان هنالك في عهد مبكر جدًا، في سنة ١٥٢١، ملك مسلم لولاية جيلولو Gilolo على الجانب الغربي من الطرف الشمالي لجزيرة هليماهيرا[٢].

وفي أزمان حديثة، أدى وجود قوانين خاصة، سُنت لمصلحة دين الدولة، إلى تسهيل تقدم الدين الإسلامي، إلى حد ما، بين الألفور الساكنين في المناطق الكبرى: من هذه القوانين أنه إذا ثبت أن أي فرد منهم كان يعاشر فتاة مسلمة معاشرة غير شرعية، وجب عليه أن يتزوجها، وأن يدخل في الإسلام؛ وأن أية امرأة من الألفور تتزوج من مسلم وجب أن تعتقد دين زوجها، وقد يكفّر المرء عما يقترف من آثام يعاقب عليها القانون، بالتحول إلى الإسلام. وإذا أريد شغل منصب شاغر من مناصب الرؤساء، فإنه لا ينظر إلى مؤهلات المرشح القانونية، بقدر ما ينظر إلى استعداده لاعتقاد الإسلامي[٣].

وعلى هذا النحو، ينحصر المسلمون في بورنيو غالبًا على الساحل، مع أن الإسلام قد كسب نفوذًا في الجزيرة في عهد مبكر، أعني في مستهل القرن السادس عشر. وحول هذا الوقت، اعتقد هذا الدين شعب بنجرماسين Banjarmasin، وهي مملكة على الجانب الجنوبي، كانت خاضعة لمملكة ماجاباهيت الهندوكية، حتى دلت في سنة ١٤٧٨[٤]. ويرجع الفضل في دخولهم في الإسلام إلى إحدى الولايات الإسلامية التي قامت على أنقاض مملكة ماجاباهيت[٥].

والقصة هي أن شعب بنجرماسين طلب المساعدة لقمع إحدى الثورات، وأن هذه المساعدة قدمت لهم على شريطة أن يعتقدوا الدين الجديد. ومن ثم، قدم عدد من

---

[١] T. Forrest, p. 68.

[٢] Pigafetta (Ramusio, vol. i. p. 366).

[٣] Campen, p. 346. Koloniaal Verslag van 1910, p. 56; 1911, p. 52.

[٤] Dulaurier, p. 528.

[٥] نقع دمك Damak على ساحل جاوة الشمالي، وتقابل جنوبي بورنيو.

المسلمين من جاوة، وقضوا على الثورة، وعملوا بهذا الشرط فتحوا إلى الإسلام[١]. وعلى الساحل الشمالي الغربي وجد الإسبان ملكًا مسلمًا في بروناي Brunai، عندما بلغوا هذا المكان في سنة ١٥٢١[٢]. وبعد ذلك بقليل، أعني في سنة ١٥٥٠، دخل الإسلام إلى مملكة سوكَدنه[٣] Sukadana، في الجانب الغربي للجزيرة. على أيدي العرب الذين جاءوا من پالمبنج في سومطرة[٤].

وأبى الملك الحاكم أن يترك دين آبائه، ولكن يبدو أن الدين الجديد في غضون الأربعين سنة التي انقضت قبل موته (في سنة ١٥٩٠) قد أحرز تقدمًا كبيرًا، وأصبح خليفته على العرش مسلمًا، وتزوج بنت أمير من أمراء الجزيرة المجاورة، التي كان الإسلام فيها قد توطدت دعائمه توطدًا ظاهرًا منذ وقت طويل[٥]، ويتحدث رحالة[٦] في عهده، زار الجزيرة في سنة ١٦٠٠، عن الإسلام باعتباره الدين الشائع على طول الساحل. على أن سكان المنطقة الداخلية، كما يخبرنا، كانوا جميعًا وثنيين، وأكثرهم في الواقع لا يزال على وثنيته حتى الوقت الحاضر. ويظهر أن تقدم الإسلام في مملكة سوكدنة قد لفت الآن أنظار مركز العالم الإسلامي إلى تلك البقعة النائية؛ وفي عهد الأمير الذي خلفه، قدم شخص يدعى الشيخ شمس الدين من مكة يحمل هدية تتألف من نسخة من القرآن، وخاتم مرصع بحجر يمني كبير، مع كتاب ذكر فيه أن هذا الذائد عن الدين، قد مُنح لقب شرف سلطان مُحَمَّد صفي الدين[٧].

وفي النصف الأخير من القرن الثامن عشر، قيل إن إحدى القبائل التي تسكن في

---

(١) Hageman, pp. 236-9.

(٢) Pigafetta, (Ramusio, tom. i. pp. 363-4».

(٣) كان قد أسس هذه المملكة، جالية قدمت من مملكة ماجاپاهيت الهندوكية .(De Hollander, vol. ii. P. 67) وربما كانت قد وقعت بطبيعة الحال تحت تأثير النفوذ الإسلامي بعد تحول الجاويين إلى الإسلام.

(٤) Dozy (1), p. 386.

(٥) Veth (2), vol. i. p. 193.

(٦) Olivier de Noort, (Histoire general des voyages, vol. xiv. P. 225) (The Hague, 1756).

(٧) وقد توفي صفي الدين حول سنة ١٦٧٧، ولا يبدو أن أباه قد اتخذ لنفسه اسمًا إسلاميًا، وهو لا يعرف – على الأقل– إلا سامه الوثني، يتم بهان جيري كوسوما Panembahan Giri- Kusuma (Netscher, pp. 14-15).

الداخل، وتسكن قبيلة إيدان Idaans، وكانت تقطن في المنطقة الداخلية من شمال بورنيو، كانت تنظر إلى مسلمي الساحل نظرة ملؤها الاحترام والتقدير، باعتبار أنهم يعتقدون ديانة لم يدن بها أفراد هذه القبيلة أنفسهم[١]. ويخبرنا دلرايمپل Dalrymple، الذي استقى معلوماته عن قبيلة إيدان التي تقيم في بورنيو، في أثناء زيارته إلى سولو Sulu من سنة ١٧٦١ إلى ١٧٦٤، أن أفراد هذه القبيلة «يكنّون أسفًا صادقًا على جهالتهم، وفكرة وضيعة عن أنفسهم لهذا السبب عينه، ذلك أنهم، عندما كانوا يأتون إلى دور المسلمين أو سفنهم، نراهم يظهرون لهم أشد ألوان التبجيل والاحترام، باعتبارهم ذوي عقول أسمى من عقولهم، ولأنهم يعرفون خالقهم. وهم لا يجلسون في المكان الذي ينام فيه المسلمون، ولا يضعون أصابعهم في نفس التشونان أو علبة الفلفل، ولكنهم يأخذون قليلًا منها في خضوع بالغ؛ وهم في كل مثال يعبّرون، بأشد ميولهم وإشاراتهم ضعة وحقارة، عما يضمرونه من تعظيم للإله الذي لا يعرفونه، بما يظهرونه من احترام وتوقير لهؤلاء الذين عرفوا ذلك الإله»[٢].

ويلوح أن هذا الشعب قد اعتقد الإسلام منذ ذلك الحين[٣]؛ وهذا من الشواهد الكثيرة التي تدل على التأثير القوي الذي أحدثه الإسلام في القبائل التي بلغت أحط درجات المدنية، وقد تحدث حالات من الدخول في الإسلام، من حين إلى حين، بين الجاليات المختلفة، كالعرب، والبوجي Bugis، وأهالي الملايو، والصينيين (الذين كانوا قد استوطنوا هذه البقاع منذ القرن السابع)[٤]، والعبيد الذين دخلوا إلى هذه الجزيرة من أقطار مختلفة، حتى إن مسلمي بورنيو في الوقت الحاضر، يكونون جنسيًا خليطًا من كثير من العناصر[٥].

وكان كثير من هؤلاء الغرباء لا يزالون «على وثنيتهم، عندما قدموا لأول مرة إلى

---

(١) Thomas Forrest, p. 371.

(٢) Essay towards an account of Sulu, p. 557.

(٣) B. Panciera, p. 161.

(٤) J. Hageman, p. 224.

(٥) Veth (2), vol. i. p. 179.

بورنيو، وكانوا أرقى حضارة من قبائل الدياك Dyaks الذين غزاهم هؤلاء الغرباء، وطردوهم إلى الداخل حيث لا يزال السواد الأعظم منهم على وثنيته، اللهم إلا في الجانب الغربي للجزيرة، حيث تعتقد الإسلام قبائل قليلة العديد من الدياك من حين إلى حين[1]. وعندما كان الوثنيون من قبائل الدياك يغيرون عقيدتهم، كان الأعم الأغلب أنهم كانوا أكثر خضوعًا للمؤثرات الإسلامية، منهم للتبشير المسيحي، أو كانوا يدخلون أولًا في المسيحية، ثم يتحولون إلى الإسلام؛ ويبذل المسلمون جهودًا تنطوي على الحماسة، لاكتساب الداخلين في الإسلام من بين الدياك الوثنيين والمسيحيين على سواء[2].

وعلى هذا النحو، نجد الدين الإسلامي ينمو نموًا بطيئًا في جزيرة سليبيس Celebes، بعد أن نبت بين سكان الساحل، وشق طريقه ببطء نحو الداخل. على أنه لم يعتقد الإسلام إلا الجانب الأرقى مدنية من السكان. وينقسم هذا الجانب إلى قبيلتين: قبيلة مكسّر Macassars والبوجي Bugis، الذين يسكنون في الجنوب الغربي من شبه الجزيرة؛ هذا إلى أن البوجي كذلك، يكونون نسبة كبيرة من أهالي الساحل في أشباه الجزائر الأخرى. ولا يزال الأهالي الذين يقيمون في داخل الجزيرة على وثنيتهم، عدا الجنوب الغربي لشبه الجزيرة، حيث يعتقد الإسلام جميع السكان تقريبًا، وأكثر سكان الداخل من الألفور، وهم شعب منحط في مستوى الحضارة، يكوّن السواد الأعظم من سكان الشمالي والشرق والجنوب الشرقي من أشباه الجزائر.

وفي أقصى أول أشباه الجزائر هذه، أي في ميناهسّا Minahassa دخل الناس في المسيحية في جموع كبيرة. ولم يشق المسلمون طريقهم إلى هذه البقعة إلا بعد أن رسخت أقدام البرتغاليين في هذه الجهة من الجزيرة، ونجد الألفور الذين حولهم البرتغاليون إلى الكاثوليكية الرومانية، ينقلبون بروتستانتيين على يد الهولنديين، الذين قام مبشروهم بأعمالهم في ميناهسّا، ولقوا نجاحًا عظيمًا جدًا في هذه السبيل. ولكن الإسلام يشق طريقه في بطء بين القبائل الوثنية من الألفور في جهات شتى من الجزيرة، سواء في المقاطعات التي تديرها

---

(1) De Hollander, vol. ii. P. 61.

(2) Coolsma, p. 556. Koloniaal Verslag van 1911, pp. 38, 41: 1912, p. 30.

الحكومة الهولندية مباشرة، أو في تلك التي كانت تحت ظل حكم الرؤساء الوطنيين[١].

وعدما زار البرتغاليون الجزيرة لأول مرة، حول سنة ١٥٤٠، لم يجدوا إلا قليلًا من الغرباء المسلمين في جوا Gowa، قاعدة مملكة مكسّر، وكان أهلوها لم يدخلوا في الإسلام بعد. ولم يأخذ الناس في الدخول في الإسلام بصفة عامة إلا في مستهل القرن السابع عشر. وتاريخ هذه الحركة ذو أهمية خاصة، لأننا نلتمس فيها إحدى الحالات القليلة، التي كانت تتنافس فيها المسيحية والإسلام لاكتساب ولاء الشعب الوثني. من ذلك ما يقصه مصنف قديم عن إحدى حوادث هذا النزاع بطريقة تثير الإعجاب:

«ينظر البرتغاليون إلى كشف قطر على هذا النحو من الأهمية، على أنه مسألة ذات شأن عظيم، وقد اتخذت التدبيرات لكسب عواطف هؤلاء القوم الذين وُجد أن غزوهم أمر ليس من السهولة بمكان؛ على أنهم كانوا، من جهة أخرى، على استعداد لأن يقبلوا المعروف، وينقلبوا قومًا صالحين، كحلفائهم، بالمعاملة الطيبة. كان الشعب أشجع بل أحسن فهمًا وإدراكًا من السواد الأعظم من الهنود. ولذلك أخذوا بوجه عام يدركون، بعد مناقشة قصيرة مع الأوروبيين، أن ديانتهم خالية من أي معنى أو مغزى، ولم يكن قليل منهم، ممن كان قد دخل في المسيحية برعاية دون أنطونيو جلڤانو Don Antonio Galvano (حاكم مُلوكَّس)، قد عرفوا تعاليم المسيحية معرفة كاملة، بحيث يتسنى تعليمهم دينًا جديدًا. على أن الشعب بأسره، قد أنكر خرافاته القديمة على وجه العموم، وأصبح يؤمن بالله دفعة واحدة. ولكنهم لم يقنعوا بذلك، فقرروا أن يرسلوا، في وقت واحد، إلى ملقه يطلبون قساوسة مسيحيين، وإلى أتشين[٢] يطلبون أئمة في الشريعة الإسلامية، وعقدوا النية على أن يعتقدوا ديانة أول من يقدم عليهم من الذين أرسلوا إليهم. ولكن يظهر أن دون رويس پريرا Don Ruis Perera الذي كان حاكم ملقه في ذلك الحين، كان يعوزه بعض الاهتمام بشئون الدين، إذ أحدث تأخيرًا كبيرًا لا مبرر له، في إرسال

---

[١] Med, Ned. Zendelinggen, vol. xxxii. P. 177: vol. xxxiv. P. 170.

[٢] أي أتجيه.

القساوسة المطلوبين. هذا من جهة، ومن جهة أخرى، لم تكد ملكة أتشين، وهي مسلمة متعصبة، تتلقى خبرًا عن استعداد أهالي جزيرة سليبيس وميلهم، حتى بادرت إلى إرسال سفينة مملوءة بأئمة الشريعة، الذين وطدوا دعائم دينهم بين سكان الجزيرة توطيدًا قويًا في زمن قصير. وبعد فترة من الزمن قدم القساوسة المسيحيون، وحقروا من شأن الشريعة الإسلامية تحقيرًا مريرًا، ولكن دون جدوى. فقد اختار أهالي سليبيس ديانتهم، ولم يعد في الإمكان حملهم على تغييرها. والحق أن أحد ملوك الجزيرة، وكان قد اعتقد المسيحية من قبل، تشبث بدينه، وتحول معظم رعاياه إليه، ولكن السواد الأعظم من أهالي سليبيس ظلوا مسلمين، وهم كذلك إلى اليوم، كما أنهم أشد حماسة لدينهم من أهالي أية جزيرة من جزر الهند الشرقية»[١].

وقد قيل إن هذه الواقعة حدثت في سنة ١٦٠٣[٢]. وإن كثرة الإشارة إليها في الآداب المعاصرة تجعل الشك في صحتها التاريخية أمرًا محالًا[٣]. وفي ولاية تلّو الصغيرة Tallo، شمالي جوا، التي كانت دائمًا حليفة لها، لا يزال يُرى ضريح أحد مشاهير الدعاة إلى مكسر، واسمه خطيب تونجال. وقد برهن أمير هذه الولاية بعد دخوله في الإسلام، على أنه أشد أبطال الدين الجديد حماسة وغيرة؛ وعن طريق نفوذه، اعتقد الإسلام، كل القبائل التي تتكلم لغة مكسر على وجه الإجمال.

ولم تكن نتيجة هذه الحركة ذات طابع بحت؛ فقد انجرف أهالي مكسر في تيار حماستهم لدينهم الذي اعتقدوه حديثًا، ليقوموا بمحاولة لفرضه على جيرانهم من البوجي. وعرض ملك جوا على ملك بوني Boni أن يعتبره مماثلًا له من جميع الوجوه لو أنه عبد

---

(١) A Complete History of the Rise and Progress of the Protugeze Empire in the East Indies. Collected chiefly from their own Writers. John Harris: Navigantium atque Itinerantium Bibliotheca, vol. i. p. 682. (London, 1764).

(٢) Crawfurd (1), p. 91. وتذكر The Encyclopaedie van N.- I. (vol. i. p. 216) أن تاريخ هذه الواقعة هو سنة ١٦٠٦.

(٣) راجع ما كتبه فرناندیه نفاریت، وهو قسيس أسباني ذهب إلى جزائر الفيليبين في سنة ١٦٤٦ وذلك في: (Collection of Voyages and Travels, p. 236. London, 1752).
وراجع ما كتبه تافر نيير Tavernier الذي زار مكسر سنة ١٦٤٨، في (Travels in India, p. 193). (London, 1678). وراجع: Itinerarium Orientale R. P. F. Philippi à SSma. Trinitate Carmelitae Discalceati ab ipso conscriptum, p. 267. (Lugduni, 1649)

الإله الحقيقي وحده. وشاور ملك بوني شعبه في الأمر فقالوا له: «لم نحارب بعد، ولم ننهزم بعدُ». وقد ذاقوا عاقبة الحرب، وحلت بهم الهزيمة. وكان من أثر ذلك أن اعتقد الملك الإسلام، وأخذ من ناحيته يحاول أن يفرض عقيدته على رعاياه، كما حاول أن يفرض هذه العقيدة على ما جاوره من الولايات الصغيرة، بالقوة والإكراه.

ومن الغريب أن يقال إن الشعب طلب معونة ملك مكسر، فأرسل رسلًا يطلبون إلى ملك بوني أن يجيب عن الأسئلة الآتية:

– هل فعل الملك ما فعله من الاضطهاد بوحي خاص من النبي؟

– أم فعل ذلك تلبية لنداء عادة قديمة؟

– أم فعل ذلك جريًا وراء لذته الخاصة؟

فإن كان السبب الأول، فإن ملك جوا يتوق إلى معرفة تفصيل ذلك؛ وإن كان السبب الثاني فسوف يمد إليه يد المساعدة بإخلاص؛ وإن كان السبب الثالث فعلى ملك بوني أن يكف، لأن هؤلاء الذين ظن أنه يظلمهم، إنما هم أصدقاء جوا. ولم يجب ملك بوني عن شيء من هذه الأسئلة، وسير أهالي مكسر جيشًا عظيمًا إلى تلك البلاد، وتغلبوا عليه في ثلاث معارك متتالية، وأرغموه على مغادرة البلاد، وحولوا بوني إلى إمارة. وبعد أن ظل شعب بوني خاضعًا ثلاثين عامًا، رفعوا لواء العصيان في وجه مكسر بمساعدة الهولنديين، وادعوا زعامة قبائل سلبيس، بدلًا من سادتهم السابقين[1].

ولا شك أن الدعوة إلى الإسلام كانت تسير بين البوجي فيما يظهر تدريجيًا وفي بطء[2]، ولكن لم يكادوا يعتقدون الدين الجديد حتى أثار هذا الدين، فيما يظهر، روح

---

[1] Crawfurd, vol. ii. Pp. 385-9.

[2] «يظهر أنه لم تبذل جهود غير عادية في مصلحة الدين الجديد، مدة طويلة. ويتميز شعب سلبيبس، دون سائر القبائل في الجزائر الشرقية، بأنه يمقت البدع، ويلتزم العادات القديمة في اعتقاد وتثبت. وهذه الصفات تدل، لأول وهلة، على أنها أشد العقبات التي تقف في سبيل انتشار الإسلام. ولا يبعد أن يكون هذا هو السبب الذي أخر اعتقاد الناس هذا الدين الجديد تلك الفترة الطويلة حتى استطاع أن يتسرب إليهم عن طريق تسربله برداء القديم». Crawfurd (2), vol. ii. P. 387.

العمل فيهم، كما أثار العرب من قبل (ولو أن هذا النشاط الذي أوقظ حديثًا في كل من هاتين الحالتين كان يتحول إلى اتجاهات مختلفة كل الاختلاف)، وخلق منهم القوم الذين نراهم الآن، قومًا كانوا من قبل أشجع الناس، وأكثر سكان الأرخبيل مزاولة للتجارة واشتغالًا في الملاحة[١]. فهم يشقون طريقهم بسفنهم التجارية، إلى كافة أنحاء الأرخبيل، من ساحل غينا الجديدة إلى سنغافورة؛ وقد أدخلت جالياتهم المتنوعة، التي ميزت قبائل البوجي أنفسهم في تكوين هذه الجاليات تميزًا خاصًا، دين الإسلام إلى كثير من الجزائر الوثنية: مثال ذلك، أن إحدى مستعمراتهم كانت مؤسسة في ولاية تنبسط على جزء كبير من ساحل فلورز الجنوبي حيث أحرزوا النجاح، بعد أن اختلطوا بالأهالي الأصليين، الذين كان جانب منهم يتألف من الرومان الكاثوليك، فيّ ويل كل سكان هذه الولاية إلى الإسلام[٢].

كذلك ربط البوجي في بلادهم الأصلية، جزيرة سليبيس، بين الجهود في نشر تعاليم الدعوة، وأعمالهم التجارية؛ وقد نجحوا، في مملكة بولانج مونجندو Bolaäng-Mongondou في شبه الجزيرة الشماليّ[٣] في خلال القرن الحالي، في أن يضموا إلى الإسلام عددًا من الأهالي المسيحيين الذين يرجع تاريخ تحولهم إلى الإسلام إلى نهاية القرن السابع عشر. وكان أول ملك مسيحي لمملكة بولانج – مونجندو، يعقوب منوبو Jacobus Manopo (١٦٨٩–١٧٠٩)، وفي عهده انتشرت المسيحية انتشارًا سريعًا، بسبب نفوذ شركة الهند الشرقية الهولندية، وتبشير رجال الكنيسة من الهولنديين[٤]. وكان جميع خلفائه مسيحيين حتى سنة ١٨٤٤، عندما اعتقد الإسلام الراجه الحاكم في ذلك الحين واسمه يعقوب مانويل منوبو. وكان دخوله في الإسلام بداية سلسلة من الجهود في نشر تعاليم الدعوة، التي كانت قد أحرزت تقدمًا منذ بداية هذا القرن. ذلك أنه حدث

---

(١) Crawfurd (1), p. 75. De Hollander, vol. ii. P. 212.

(٢) Id. Vol. ii. P. 666. Riedel (2), p. 67.

(٣) وتقع شرقي ميناهسا بين خطى طول ٤٥ ١٢٤° و٢٠ و١٢٣°، وقد قدر عدد سكانها تقديرًا يتراوح بين ٣٥.٠٠٠، ٥٠.٠٠٠.
(De Hollander, vol. ii. P. 247).

(٤) Wilken (1), pp. 42-4.

حول ذلك الوقت، أن الجهود الحماسية التي قام بها بعض تجار المسلمين – البوجي وغيرهم – قد ظفرت بفريق تحولوا إلى الإسلام في إحدى المدن الساحلية لمملكة مونجندو الجنوبية.

ومن هذه المدينة ذاتها، أخذ داعيان من التجار، يقال لهما حكيم بحوس وإمام تويكو، ينشران دينهما في سائر أنحاء هذه المملكة. وكان أول ما قاما به، أن أدخلا في الإسلام بعض العبيد، والنساء الوطنيات اللائي تزوجوا منهن. وقد حث هؤلاء أصدقاءهم وأقاربهم على اعتقاد الدين الجديد شيئًا فشيئًا. ومن مونجندو انتشر الإسلام إلى مملكة بولانج الشمالية. وفي هذه البقعة، في سنة ١٨٣٠، كان الأهالي جميعًا إما مسيحيين أو وثنيين، عدا جاليتين أو ثلاثا من المسلمين. ولكن سرعان ما أحرز دعاة الإسلام المتحمسون من البوجي والعرب الذين ساعدوهم على أداء أعمالهم الخاصة بنشر الدعوة، نجاحًا واسع النطاق.

ولم يتسلح المسيحيون الذين كانت معرفتهم بعقائد دينهم تافهة للغاية، والذين كان إيمانهم ضعيفًا جدًا، تسلحًا تامًا بأسلحة الجدل لكي يواجهوا هجمات العقيدة المنافسة. ولما كانت الحكومة الهولندية تنظر إلى هؤلاء المسيحيين نظرة الاحتقار، ورؤساء الكنيسة يهملون من شأنهم ويكادون ينبذونهم، بدءوا يتطلعون إلى هؤلاء الغرباء، الذين تزوج بعضهم من نسائهم، واستقروا بينهم، وأَبحوا أصدقاءهم. ولما تقدمت مهمة التحويل إلى الإسلام في تلك البلاد، أصبح تردد هؤلاء البوجي والعرب عليها أكثر – وكان من قبل نادر الوقوع – كما أصبح نفوذهم في تلك البلاد يزداد زيادة كبيرة جدًا، حتى لقد بلغ من عظمة أن تزوج عربي، حول سنة ١٨٣٢، ابنة الملك كورنيليوس منويو Cornelius Manopo، وكان يدين هو نفسه بالمسيحية. وحول هذا الوقت نفسه، هجر كثير من الرؤساء، وفريق من أعظم الناس نفوذًا بينهم، دين المسيحية واعتقدوا الإسلام.

وعلى هذا النحو، كان الإسلام قد توطدت أركانه في مملكته، قبل أن يصبح الراجه يعقوب مانويل منويو مسلمًا في سنة ١٨٤٤. وكان هذا الأمير قد طلب مرارًا إلى

السلطات الهولندية في مندو Manado أن تعين خلفًا لعقوب بستيان، المعلم المسيحي – الذي كان موته خسارة فادحة للطائفة المسيحية – ولكن دون جدوى. ولما علم من نائب الحكومة الهولندية في مندو أنها على حياد تام من حيث ديانة الشعب، وأنه لا يعنيها أن يكون شعب ولايته مسيحيين أو مسلمين، ما داموا مخلصين، صرح أمام الملأ أنه قد أصبح مسلمًا، وحاول كل وسيلة لحمل رعيته على الدخول في هذا الدين نفسه.

واستغل أحد دعاة العرب وقوع زلزال شديد في السنة التالية، فتنبأ بخراب بولانج مونجندو، إذا لم يبادر شعبها إلى الدخول في الإسلام. وهرع كثيرون من فزعهم إلى اتباع هذه النصيحة، ومد الراجه وأشرافه يد المساعدة للدعاة وتجار العرب، الذين لم يكونوا على الدوام يستخدمون أرق الوسائل وأنبلها في معاملة الذين تراخوا عن هذا الدين. على أن نصف الأهالي تقريبًا لا يزالون على وثنيتهم، وإن كان تقدم الإسلام بينهم، على بطئه، مستمرًا في صورة مؤكدة[١]. ولا يبعد أن تكون جزيرة سمْبوا Sambawa القريبة كذلك، قد تلقت معرفتها بهذا الدين من سليبيس، عن طريق الدعوة التي قام بها الدعاة من مكسر بين سنتي ١٥٤٠ و١٥٥٠. وإن جميع السكان الذين نالوا حظًا أرقى من المدنية والحضارة مؤمنون صادقون، ويقال إنهم أشد تمسكًا في إقامة فرائضهم الدينية من أي شعب من الشعوب الإسلامية التي تجاورهم. ويرجع ذلك بنوع خاص إلى حركة تجديد بعثها شخص يدعى حاجي علي، بعد انفجار جبل تمبورا في سنة ١٨١٥، تلك الكارثة المفزعة التي نجمت عن ذلك، فاستغلت لإثارة الشعب على أن يحافظوا على مبادئ دينهم على نحو أقوى، وأن يهتدوا إلى حياة أكثر ورعًا وتدينًا[٢]. ولا يزال الإسلام في الوقت الحاضر يوالي اجتذاب مسلمين جدد في هذه الجزيرة[٣]. لذلك يرجع الفضل في تحويل السسك Sasaks، الذي يسكنون في جزيرة لمبوك Lombok المجاورة إلى الإسلام، إلى الدعوة التي قام بها البوجي، الذين يكوّنون مستعمرة كبيرة في هذه البقعة، وقد قدموا

---

(١) Wilken (2), pp. 276-9. Koloniaal Verslag van 1910, p. 52; 1911, p. 47.

(٢) Zollinger (2), pp. 126, 169.

(٣) Med, Ned. Zendelinggen, xxxii. P. 177; xxxiv. P. 170.

إما عن طريق عبور المضيق من سمبوا، أو من سليبيس رأسًا. ومهما يكن من شيء، فإن التحويل إلى الإسلام، فيما يظهر، قد حدث بطريقة سلمية[١].

وينقسم أهالي لمبوك قسمين متميزين: السسك والبلينيون. أما الجماعة الأولى، وهم عبارة عن السسك المسلمين، سكان الجزيرة الأصليين، فإنها تفوق الجماعة الثانية عددًا، إلا أنهم أصبحوا، حول منتصف القرن الثامن عشر، تحت حكم البلينين، وسرعان ما وجدوا أفواجًا من جيرانهم الهندوكيين يجتاحون جزيرتهم[٢]. وكان حكم البلينيين جائرًا للغاية، وقد بذلوا جهودًا – لم تصادف نجاحًا كبيرًا – لحمل رعاياهم المسلمين على اعتقاد الديانة الهندوكية. وحاول السسك، دون جدوى، أن يتخلصوا من نير هؤلاء الحكم الجائرين، ولجئوا إلى الحكومة الهولندية أكثر من مرة، قبل أن تجلب حملة سنة ١٨٩٤ تباشير الإسلام إلى الجزيرة، وأن تقيم إدارة منظمة في ظل الحكم الهولندي، وقد جلبت الحكومة الجديدة معها عددًا كبيرًا من الموظفين الوطنيين من المسلمين، الذين يستخدمون نفوذهم في مصلحة دينهم، ومن ثم كان من المتوقع أن تكون إحدى نتائج الغزو الهولندي للمبوك، إمداد الإسلام بروح قوية دافعة في هذه الجزيرة[٣].

ونجد في جزائر الفيليبين صراعًا بين المسيحية والإسلام لكسب ولاء السكان، وهذا الصراع يشبه في طابعه ما حدث في سليبيس إلى حد ما، إلا أنه أكثر عنفًا وشدة؛ فقد اشتبك فيه الإسبان والمسلمون في نزاع عنيف دام، حتى القرن التاسع عشر. وليس من المحقق أن نقف على الزمن الذي وصل فيه الإسلام إلى هذه الجزائر لأول مرة[٤].

---

[١] Zollinger (1), p. 527.

[٢] ويذكر دي هولاندر De Hollander في سنة ١٨٨٢ أن عدد البلينيين ٢٠٠٠٠٠، وعدد السسك ٣٨٠٠٠٠. (Vol. i. p. 489).

[٣] Encyclopaedie van N.-I. vol. ii. Pp. 432-4, 524. W. Cool: With the Dutch in the East. An outline of the military operations in Lombok, 1894. (London, 1897).

[٤] يقول كابتن توماس فورست، فيما كتبه سنة ١٧٧٥، إن العرب قدموا إلى جزيرة مندناو قبل ذلك بثلاثمائة سنة، وإن ضريح أول عربي، وكان أحد أشراف مكة، لا يزال يرى – وهو عبارة عن «كومة فجة من أحجار المرجان الصخرية».. (pp. 201 313).

وتصور لنا أخبار مندناو Mindanao، أن الإسلام دخل إلى هذه الجزائر من جوهور Johore، في شبه جزيرة الملايو، على يد شخص يدعى شريف كابو نجسوان، الذي استقر مع عدد من الأتباع في الجزيرة، وتزوج هناك، ويقال إنه أبى أن ينزل إلى الشاطئ حتى يعده هؤلاء الذين قدموا للقائه عند وصوله، أن يعتقدوا الإسلام. وتوحي هذه الأخبار القديمة بأن نزول كابو نجسوان على الشاطئ، ودخول شعب مندناو في الإسلام، قد حدث أول الأمر في غاية الهدوء والسكينة. ولكنه، بعد أن وطد سلطته، أخذ يغزو من جاوره من الزعماء والقبائل، فقبلوا ديانته عندما أذعنوا لسلطانه[١].

وقد وجد الإسبان، وكانوا قد اهتدوا إليهم في سنة ١٥٢١، أن أهالي الجزائر الشمالية قوم همج يعبدون رموزًا ساذجة من الأوثان، على حين وجدوا قبائل إسلامية أكثر رقيًا وحضارة[٢]، في جزائر مندناو وسولو. وقد قاوم أهالي سولو على وجه الإجمال، كل الجهود التي بذلها المسيحيون في الغزو والتبشير، حتى نهاية القرن التاسع عشر، مقاومة ناجحة، إلى حد أن المبشرين الإسبان يئسوا من الاستمرار في القيام بأعمال التبشير[٣].

ويرجع نجاح الإسلام إلى حد بعيد، إذا ووزن بالمسيحية، إلى الصورة المختلفة التي عُرضت بها هاتان الديانتان على أهالي هذه البلاد، وقد انطوى اعتقادهم المسيحية على فقد الحرية السياسية كلها، والاستقلال القومي، ومن هنا أصبح الناس ينظرون إليها على أنها رمز العبودية.

وقد قدر للوسائل التي اتخذها الإسبان لنشر دينهم أن تجعل هذا الدين منذ البداية غير محبب لدى الشعب، وكان عنفهم وتعصبهم على طرفي نقيض مع سلوك التسامح

---

(١) N. N. Saleeby: Studies in Moro History, Law and Religion, pp. 24-5, 53-5. (Manila, 1905).

(٢) Relatione di Ivan Gaetan del discoprimento dell' Isole Molucche, (Ramusio, tom. i. p. 375 E).

(٣) «وقد ظهر أنهم من العناد لرحمة الله والبعد عن عقيدته بحيث أصبح من المستحيل تقريبًا أن يتحولوا إلى النصرانية». (Cartas de los PP. de la Compania de Jesús de la Mission de Filipinas, 1879, quoted by Montero y Vidal, tom. i. p. 21).

الذي ظهر به دعاة المسلمين، الذين تعلموا لغة الشعب، وانتحلوا عاداته، وأصهروا إليه. وبفنائهم في عامة الشعب، لم يدّعوا لأنفسهم كافة الحقوق التي تقتصر على جنس متميز عن سائر الأجناس، ولا رموا الأهالي بأنهم في مستوى طبقة منحطة. هذا من جهة، ومن جهة أخرى، كان الإسبان يجهلون لغة الأهالي وعاداتهم وأحوالهم، وقد أدى فساد أخلاق هؤلاء الإسبان، بل شحهم وجشعهم، إلى جعل دينهم مبغضًا إلى النفوس، كما كان المقصود من نشر دينهم استخدامه أداة لتقدمهم السياسي[١].

لهذا فإنه ليس من العسير أن ندرك المعارضة التي أظهرها الأهالي إزاء دخول المسيحية، التي لم تصبح في حقيقة الأمر إلا ديانة الشعب في تلك الجهات حيث كان السكان من الضعف، أو كانت الجزيرة من الصغر، بحيث مكنوا الإسبان من إخضاع البلاد إخضاعًا تامًا، ولم يكن بد من أن يرغم المسيحيون من الأهالي، بعد دخولهم في المسيحية، على أداء واجباتهم الدينية خوفًا من العقاب، كما أنهم عوملوا معاملة أطفال المدرسة سواء بسواء[٢].

وكانت مملكة مندناو الإسلامية، حتى زمن احتلال الأمريكيين جزائر الفيلبين، ملجأ لهؤلاء الذين رغبوا في التخلص من الحكومة المسيحية البغيضة[٣]، وقد كوّنت جزيرة سولو، كذلك، مع أنها دخلت اسميًا في حوزة الإسبان سنة ١٨٧٨، مركزًا إسلاميًا آخر مناهضًا للمسيحية، كما وُجد به المرتدون من الذين يتكلمون اللغة الإسبانية[٤].

---

(١) Crawfurd (2), vol. ii. Pp. 274-280.

(٢) وهم قليلو العناية بتأدية واجب المسيحية التي تلقوها، ولم يكن بد من أن يرغمهم على أدائه بتحذيرهم من العقاب، وأن يسوسهم كما يساس أطفال المدارس».

Relation des Isles Philippines, Faite par un Religieux, p. 7. (Thevenot, vol. i).

(٣) «وفي مندناو، عند قبائل تاجال التي تسكن في الشرق، عندمات أراد هؤلاء التاجال أن يتخلصوا من نير السادة الكاثوليك البغيض، تجمعوا وزاد عددهم يومًا بعد يوم، والتفوا حول رؤساء الأسرات الوطنية. وكان هناك أكثر من ٣٦٠ ألف من المسلمين، يعترفون بأن القرآن دستورهم الوحيد. وقد قدم دعاة المسلمين من الصين والهند رؤساء دينيين، ومعلمين للأهالي، بدلًا من اليسوعيين الدين طردوا من الجزيرة، ومن الذين يمثلون الديانة الرسمية. وعلى ذلك جدد هؤلاء المسلمون الدعوة التي بدأها العرب الفاتحون». (A. le Chatelier (2), p. 45).

(٤) Montero y Vidal, vol. i. p. 86.

وليس لدينا شاهد تاريخي معين، يبين المدة التي قضاها سكان جزائر سولو في الإسلام، قبل قدوم الإسبان. وتذكر أخبار سولو اسم الشريف كريم المخدوم باعتباره أول داع إلى الإسلام في هذه الجزائر. ويقال إنه كان عربيًا، ذهب إلى ملقه حول منتصف القرن الرابع عشر، وأدخل السلطان مُحَمَّد شاه وشعب ملقه في الإسلام. وقد واصل رحلته شرقًا، حتى وصل إلى سولو حول سنة ١٣٨٠، واستقر في بوانسا Bwansa[١]، قاعدة سولو القديمة، حيث بنى له الأهالي مسجدًا وتقبل كثير من الرؤساء تعاليمه. وقد قيل إنه زار كل جزيرة في الأرخبيل تقريبًا، وإنه أدخل في الإسلام ناسا في أماكن كثيرة. ويقال إن ضريحه في جزيرة سبوتو Sibutu[٢]؛ كما يقال إن الداعي الذي جاء بعده هو أبو بكر، وقد ذُكر كذلك أنه عربي، وأنه بدأ نشاط دعوته في ملقه، وأنه شق طريقه إلى پالمبنج وبروناي Brunai، ووصل إلى سولو حول سنة ١٤٥٠، وبنى مساجد وقام بدعاية ناجحة. وقد زوجه الراجه بجندا Baginda، ملك بوانسا المسلم، من ابنته، وجعله وريثه.

وإلى أبي بكر يرجع الفضل في تنظيم حكومة سولو وسن قوانينها على أسس إسلامية قومية، بقدر ما كانت تسمح به العادات المحلية[٣]. وعلى الرغم من أنهم دخلوا في الإسلام منذ زمن بعيد، فإن المسلمين من أهالي سولو بعيدون عن التمسك بدينهم. وفي الحق أن مؤثرات العبيد المسيحيين، على اختلافهم، وكانوا قد نقلوها معهم من جزائر الفيليپين في غاراتهم التي كانت تقوم على النهب والسلب، كانت في العادة من القوة بحيث زعم بعض الباحثين[٤]، أنهم كانوا قد اعتُرف بأنهم مسيحيون قبل ذلك بوقت طويل، ولكن على تقدير أن مثل هذا التغيير لدينهم، عن طريق إلقاء تأثير قوى غلاب إلى رجال الدين المسيحي، لا بد أن يقوض دعائم سلطة هؤلاء العبيد، ويمهد الطريق إلى نقل ممتلكاتهم إلى الحكم الإسباني. وهذه حادثة قد علمتها التجارب القاتلة، في قوة

---

[١] على بعد ثلاثة أميال إلى الغرب من جولو، قاعدة البلاد الحالية.

[٢] N. M. Saleeby: The History of Sulu, pp. 150, 158-9. (Manila, 1908).

[٣] Id. Pp. 150, 162-3.

[٤] J. H. Moor. (Appendix, p. 37).

وعنف، كلَّ الشعوب المحيطة التي انتحلت العقيدة المسيحية في تهور واستهتار». أضف إلى ذلك، أن مسلك العدوان الذي ظهر به قساوسة الإسبان الذين أقاموا بعثة تبشيرية في سولو، قد خلق في نفوس الأهالي نفورًا شديدًا من الديانة الأجنبية[١].

ومنذ احتل الأمريكيون جزائر الفيليبين، أصبح التأثير الإسلامي محدودًا إلى حد كبير، وهو الآن ينحصر في جزيرة پلوان Palawan، وساحل مندناو الجنوبي، ومجموعة جزائر سولو[٢]. ولكن يقال إنه بحد في نشر دعوته بين الجزائر الشمالية، وإنه بدأ نشاط الدعوة حتى مانيلا Manila. ويقال إن أحوالًا معينة قد ساعدت على نجاحه، ولا سيما تلك الحقيقة، وهي أن أهالي جزائر الفيليبين يتحاملون على المسيحية، بسبب المساوئ التي أدت بهم إلى حمل السلاح في وجه رهبان الإسبان[٣].

وقد قوبل الإسلام، كما ذكرنا من قبل، بأسمى آيات القبول من شعوب أرخبيل الملايو الذين يتمتعون بحضارة أرقى، كما أنه لم يرسخ إلا قليلًا عند الشعوب التي هي أشد انحطاطًا وتأخرًا. ومن أمثلة هؤلاء، البپوان Papuans في غينا الجديدة، وفي الجزائر التي تقع إلى الشمال الغربي منها، نعني بذلك الوايجيو Waigyu والميسول Misool، والوايجما Waigama والسلوتي Salawatti. وكانت هذه الجزائر، بالإضافة إلى شبه جزيرة أونين Onin، إلى الشمال الغربي من غينا الجديدة، خاضعة في القرن السادس عشر لسلطان باتجان[٤]، أحد ملوك ملوكّس. وبفضل نفوذ حكام باتجان من المسلمين، اعتقد زعماء البپوان في هذه الجزائر الإسلام[٥].

ومع أن عامة الشعب في المنطقة الداخلية قد ظلوا على وثنيتهم حتى الوقت

---

(١) Dalrymple, p. 549.

(٢) R. du M. M., vii. Pp. 115-16. (1909).

(٣) The Missionary Review of the World, N. S., vol. xiv, p. 877 (New York, 1901).

(٤) وأول من اعتنق الإسلام من أمراء باتجان كان شخصًا يدعى زين العابدين، وكان يحكم في سنة ١٥٢١، عندما قدم البرتغاليون إلى ملوكس للمرة الأولى.

(٥) Robidé van der Aa, pp. 350, 352-3.

الحاضر، فإن سكان الساحل مسلمون. ولا شك أن إسلامهم يرجع بنوع خاص إلى تأثير هؤلاء الذين جاءوا من ملوكس واستقروا في هذه البلاد[١]. وفي غينا الجديدة نفسها، يظهر أن فئة قليلة جدًا من البپوان قد اعتقدوا الإسلام. وقد دخل هذا الدين إلى الساحل الغربي (وربما إلى شبه جزيرة أونين) على أيدي تجار المسلمين، الذين أذاعوا دينهم في السكان في عهد مبكر يرجع إلى سنة ١٦٠٦[٢]. ولكن يظهر أنه لم يصادف نجاحًا كبيرًا في خلال القرون التي خلت منذ ذلك الحين[٣].

وأبدى البپوان نفورًا شديدًا من الدخول في الإسلام، كذلك النفور الذي أبدوه في قبول تعاليم المبشرين المسيحيين الذين قاموا بأعمال التبشير بينهم منذ سنة ١٨٥٥، ولم يصادفوا نجاحًا كبيرًا في هذه السبيل. وقد اتهم مسلمو الجزائر المجاورة بأنهم يحتقرون البپوان احتقارًا شديدًا بحيث لا يستطيعون أن يبذلوا جهودًا لنشر الإسلام بينهم[٤]. على أن هنالك اسم أحد الدعاة، ويدعى الإمام دِكْر (ربما ذِكْر)؛ وكان قد قدم من إحدى الجزائر على الجنوب الشرقي من سرام Ceram حول سنة ١٨٥٦، وأدخل الإسلام إلى

---

[١] Id. P. 147. وقد ورد عن جزيرة ميسول: «إن كل سكان الساحل مسلمون ... وسكان الجيل وثنيون» Id. P. 53. وورد عن جزيرة سلوتي Salawatti: ويجهر فريق صغير من السكان بعقيدة محمد. على أن السواد الأعظم يتألف من قبيلة ببوان الوثنية. وقد تحول عدد قليل منهم إلى الدين الإسلامي أو اعتنقوا مبادئه ظاهريًا .. Id p. (Waigyu) 299. وقد دخل في الإسلام بعض البپوان من جزيرة جيبي، بين وايجيو وها لبماهيرا، على يد المسلمين المستوطنين الذي جاءوا من ملوكس.(Crawfurd (1), p. 143).

[٢] Robidé van der Aa, p. 352.

[٣] على أن كابتن فورسي يخبرنا في سنة ١٧٧٥ أن كثيرًا من البپوان قد انقلبوا مسلمين (Voyage to New Guinea, p. 68).

[٤] Robidé van der Aa, p. 71. (وقد بلغ من شدة قسوة طبيعة كل من أفراد قبيلة بابو (مفردها پپوان) أنه لم يكن يشعر بالحاجة إلى اعتناق دين من الأديان. ولم تكن هناك عقيدة أخرى. ولم تكن هناك غير الديانة المسيحية تستطيع أن تجد إلى نفسه سبيلًا لو قدر للإسلام النجاح، إذا بذل شيء من الجهد بين هذه الشعوب. وبقدر ما ظهر لي في خلال رحلات خمس قمت بها في هذه البلاد، لم يقم شعب تيدور ولا شعب سرام أو غيرهما قط بأي مجهود جدي لإدخال عقيدة محمد هنا.. وقد نعد رؤساء قليلين جدًا فقط من أمثال راجات امبات أوف وويجيو، وسلواتي، وميسول ووايجما، من هؤلاء يجهرون بهذا الدين، وذلك بسبب تخلفهم إلى تيدور عدة مرات باعتبارهم بابوانيين. ولم يحاول أحد قط أن يدخل الإسلام بين الأهالي الأصليين. ولا يبعد مطلقًا أن يكون ذلك راجعًا إلى احترمهم ذلك الدين، الذي يعدونه فوق مستوى البابوانيين بكثير».

جزيرة أدى الصغري Adi، جنوبي شبه جزيرة أونين. وبعد أداء رسالته، عاد إلى وطنه، بعد أن قاوم إلحاح السكان الذين طلبوا إليه أن يستقر بينهم[١]. وقد روت الأخبار أن تجار المسلمين من سِرام وجُرام قد أدخلوا فريقًا في الإسلام من بين الوثنيين في خلال العقد الأول من القرن العشرين[٢]. وتبذل جهود مماثلة لتحويل البِيوان في جزائر كي Kei المجاورة إلى الإسلام.

وقد قيل إنه كان من الصعب أن نجد في منتصف القرن التاسع عشر، أي فريق من المسلمين على هذه الجزائر، لا نستثني إلا سلالة المهاجرين من جزائر بنده. وقبل ذلك بقليل، كان الدعاة من سرام قد نجحوا في إدخال عدد في الإسلام، بيد أنه قلما كانت تراعي تعاليم الإسلام بينهم، فقد أباحوا لأنفسهم أكل اللحوم المحرمة وشرب المسكرات. على أنه قيل إن النساء كن أشد تمسكًا بأهداب الدين من الرجال، حتى إن بعولتهن كانوا إذا رغبوا في أن يبيحوا لأنفسم أكل لحم الخنزير، فعلوا ذلك سرًا، لأن نساءهم كنّ لا يسمحن بجلبه إلى المنازل[٣].

وقد لوحظ في سنة ١٨٨٧، لأنه كانت هنالك نهضة في الحياة الدينية بين أهالي جزائر كي، كما كان عدد المسلمين يكثر يومًا بعد يوم. وقد برهن تجار العرب من مادورة وجاوة وبالي على أنهم دعاة متحمسون للإسلام، ولم يدعوا وسيلة إلا حاولوها لجذب الداخلين في هذا الدين. وكانوا يدعمون حجتهم بالتهديد والعنف تارة، وبالرشا تارة أخرى.

وقد قيل إن العادة قد جرت بأن يتقاضى كل من يدخل حديثًا في الإسلام، ما يساوي مائتي فلورين[*] من الهدايا، على حين كان الزعماء يتسلمون مبلغًا هائلًا يساوي

---

[١] Robidé van der Aa, p. 319.

[٢] Koloniaal Verslag van 1906, p. 70; 1911, p. 52.

[٣] The Journal of the Indian Archipelago, vol. vii. Pp. 64, 71. (Singapore, 1853).

[*] عملة تساوي عشرة قروش تقريبًا.

ألف فلورين[١]. وفي نهاية القرن التاسع عشر، قيل إن نحوا من ٨٠٠٠ من سكان جزائر كي كانوا مسلمين من بين مجموع سكان هذه الجزائر الذي يبلغ ٢٣٠٠٠[٢].

وإن الصورة العامة التي رسمناها من قبل عن انتشار الإسلام من الغرب إلى الشرق عن طريق أرخبيل الملايو، لا تؤلف إلا جانبًا قليلًا من تاريخ أعمال الدعوة إلى الإسلام في هذه الجزائر. وكثير من حقائق هذا التاريخ لم يدون بأكمله، وإن ما يمكن أن نلتقطه من التواريخ الوطنية، ومؤلفات الرحالين الأوروبيين، والموظفين والدعاة، إنما هو متفرق ناقص في جوهره. على أن هناك شواهد كافية تدلنا على وجود جهود سلمية في الدعوة لنشر عقيدة الإسلام في خلال السنوات الستمائة الأخيرة. حقًا إن السيف كان يمتشق أحيانًا لتأييد قضية الدين، ولكن الدعوة والإقناع، وليس القوة والعنف، كانا هما الطابعين الرئيسين لحركة الدعوة هذه. وإن النجاح الرائع هو الذي أحرزه التجار بنوع خاص، الذين كسبوا السبيل إلى قلوب الأهالي، بتعلم لغتهم، وانتحال أخلاقهم وعاداتهم، وأخذوا في رفق وتدرج، ينشرون معارف دينهم بأن بدءوا بأن يحولوا إلى الإسلام، نساء البلاد اللائي تزوجوا منهن، والأشخاص الذين ارتبطوا معهم بعلاقات تجارية.

وبدلًا من أن يعتزلوا الأهالي في أنفقة وكبرياء، امتزجوا شيئًا فشيئًا في عامة الشعب، واستخدموا كل ما يتميزون به من تفوق في العقلية والحضارة في القيام بأعمال التحويل إلى الإسلام، واصطنعوا لمبادئ دينهم وطقوسه شروطًا حاذقة ومخارج ماهرة، كانوا يرونها لازمة لتقريب هذا الدين إلى أذهان الشعب الذي كانوا يرغبون في جذبه إليهم[٣]. وفي الواقع «كان دعاة المسلمين –كما قال عنهم بَكل Buckle– على جانب عظيم من الحكمة والروية»[٤].

---

[١] G. W. W. C. Baron von Hoëvell, p. 120. Krieger, p. 436.

[٢] Encyclopaedie van N.- I. vol. ii. P. 210.

[٣] Crawfurd (2), pp. 275, 307.

[٤] Buckle's Miscellaneous and Posthumous Works, edited by Helen Taylor, vol. i. p. 594. (London, 1872).

وإلى جانب التجارة، كانت هنالك جموع ممن يصح أن نسميهم الدعاة المحترفين، وهم الفقهاء، والقضاة والحجاج. وكان الحجاج، في السنين الأخيرة، نشيطين في نشر تعاليم الدعوة بنوع خاص، وذلك بحثّ مواطنيهم على لون من الحياة الدينية، أكثر نشاطًا وأشد تماسكًا، وبتطهيرها من بقايا عادات الوثنية ومعتقداتها. وإن عدد الذين يذهبون إلى مكة لأداء فريضة الحج من كل جهات الأرخبيل آخذ في الزيادة على الدوام، وتبع ذلك نمو التأثير الإسلامي والفكرة الإسلامية نموًا مناسبًا.

وقد حاولت الحكومة الهولندية، حتى منتصف القرن التاسع عشر أن تضع العراقيل في سبيل الحجاج، فأصدت أمرًا بأنه لا يجوز لأحد أن يؤدي فريضة الحج إلى المدينة المقدسة إلا إذا حصل على جواز سفر، وكان لا بد أن يدفع للحصول عليه ١١٠ فلورين. وكل من يخالف هذا الأمر، يُلزم عند عودته بأن يدفع غرامة تساوي ضعفي هذا المبلغ[١]. ومن ثم لا نعجب أن نجد عدد الحجاج في سنة ١٨٥٢ ينخفض حتى يصل إلى السبعين، ولكن هذا الأمر لم يلبث أن ألغى في هذه السنة نفسها، وأخذ عدد الحجاج يزداد منذ إلغائه زيادة ثابتة. وبلغ متوسط عدد الحجاج في خلال العقد الأول من القرن التاسع عشر ٧٠٠٠ وفي خلال العقد الأول من القرن العشرين ٧٣٠٠[٢]؛ ولكن العدد يتفاوت كثرة سنة فأخرى، وكان أكبر عدد سجل من جزائر الهند الهولندية ٢٣٤، ١٤ في سنة ١٩١٠[٣].

ولا شك أن مثل هذه الزيادة تعزى بنوع خاص إلى زيادة تيسير المواصلات بين مكة وأرخبيل الملايو؛ ولكن هذا، كما لاحظ ذلك أحد المبشرين المسيحيين «لا يقلل بحال من أهمية تلك الحقيقة، ولا سيما أن الحجاج، الذين نما عددهم بسرعة فائقة، لم يفقدوا بحال من الأحوال من صفاتهم ما حصلوا عليه من كثرة عددهم. فالأمر على

---

(١) Neimann, pp. 406-7.

(٢) . Snouck Hurgronje: De hadji- politiek der Indische Regeering, p. 12. (Overdruk uit { Onze Eeuw, 1909).

(٣) Id: Notes sur le movement du pèlerinage de la Mecque aux Indes Nèerlandaises. (R. du M. M., vol. xv. Pp. 409, 412).

خلاف ذلك، يوجد الآن بينهم كثير من هؤلاء أكثر إلمامًا وأشمل معرفة بمبادئ الإسلام، وأشد تشربًا بالتعصب الإسلامي وكراهية الكفار، منهم قبل أن يؤدوا فريضة الحج»[١].

وتحمل تقارير الحكومة الهولندية والمبشرين المسيحيين، دليلًا لت مراء فيه على تأثير هؤلاء الحجاج، وحماستهم في نشر تعاليم الدعوة، وكانوا يعودون إلى أوطانهم مصلحين ودعاة في وقت واحد[٢]. وإلى جانب الحجاج الذين كانوا يقنعون بمجرد زيارة البقاع المقدسة، وتأدية الشعائر اللازمة، وهؤلاء الذين يقضون وقتًا أطول هناك لإتمام دراساتهم الدينية، نجد في مكة، في الوقت الحاضر، جالية كبيرة من أهالي الملايو، الذين اتخذوا مقامهم في المدينة المقدسة إلى الأبد. وهؤلاء على اتصال دائم بمواطنيهم في أوطانهم، وكانت جهودهم في الغالب فعالة في تطهير الإسلام في أرخبيل الملايو من شوائب العادات الوثنية ووسائل التفكير الوثني التي بقيت من العهود القديمة.

كذلك طبعت في مكة مجموعة كبيرة من الكتب الدينية باللغات المختلفة التي يتكلمها مسلمو الملايو، وأرسلت إلى كل جهات الأرخبيل. وفي الواقع أن تأثير مكة في الحياة الدينية في هذه الجزائر، كما قيل بحق، كان أقوى منه في تركيا أو الهند أو بخارى[٣]. وكما كان من الممكن أن نتوقع إذا تأملنا هذه الحقائق، نجد في السنين الأخيرة نهضة عظيمة جدًا في نشاط الدعوة في أرخبيل الملايو[٤]، وأصبح الحجاج العائدون من مكة، سواء أكانوا تجارًا أم معلمين دينيين، دعاة إلى الإسلام في القاع التي كانوا يتصلون فيها بالأهالي الوثنيين. أضف إلى ذلك أن الجماعات الدينية بسطت نظامها على أرخبيل الملايو، بل لقد وجدت أحدث هذه الجماعات عهدًا، وهي السنوسية، أتباعًا لها في أقصى هذه الجزائر[٥]؛ ومما يدل على تأثيرها أن كثيرًا من سكان الملايو يتسمون باسم

---

(١) Report of Centenary Conference on Protestant Missions, vol. i. p. 21, Niemann, p. 407.

(٢) Med, Ned. Zendelinggen. Vols. Xxxii. Xxxiv. Passim.

(٣) Snouck Hurgronje (3), vol. ii. Pp. xv. 339-393. Encyclopaedie van N.- I., vol. ii. Pp. 576-9.

(٤) مثال ذلك القادرية والنقشبندية والصّمانية.
(C. Snouck Hargronje (2), p. 186) Id. (3) vol. ii. P. 372, etc.

(٥) J. G. F. Riedel (1), pp. 7, 59, 162.

سنوسي، على حين كانوا في مكة يبدلون أسماءهم الوطنية بأخرى عربية[١].

وقد اتهم المبشرون المسيحيون الحكومة الهولندية بأنها تساعد على انتشار الإسلام، ومهما يكن من شيء، فإن من المحقق أن الذي سهل مهمة الدعاة المسلمين هو تلك الحقيقة، وهي أن لغة الملايو التي لا يكاد يتكلمها إلا المسلمون، قد اتخذت اللغة الرسمية للحكومة الهولندية إلا في جاوة. ولما كان موظفو الدولة من الهولنديين (من غير العسكريين) قد ألحقوا في كل مكان بجمع حاشد من المسلمين الذين كانوا موظفين مرؤوسين، ورجالًا في الهيئة السياسية، وكتبة، ومترجمين، وتجاوا، حملوا الإسلام معهم إلى كل مكان ينزلون فيه. وكان حتمًا على كل الأشخاص الذين يربطهم بالحكومة عمل ما، أن يتعلموا لغة الملايو، وقلما كانوا يتعلمونها دون أن يصبحوا مسلمين في الوقت نفسه. وعلى هذا النحو، اعتقد الأهالي ذوو النفوذ والسلطان الإسلام، وبادرت البقية الباقية إلى الاقتداء بهم[٢]. وبذلك يعمل الإسلام في الوقت الحاضر على طرد الوثنية من أرخبيل الملايو في سرعة.

---

(١) Snouck Hurgronje (3), vol. ii. P. 323.

(٢) Hauri, p. 313 Encyclopaedie van N.- J., vol. ii. P. 524.